روايات عبير

ليليان بيك

رَجُل بلا قلب

٦

روايات عبير

رجل بلا قلب

كانت تظن انه لن يعود ابداً . فقررت ان تضع حداً لحيرتها واختارت من دعاة شقيقها بالعجوز المتصابي ... وكانت على اهبة الزواج من هذا الذي يكبرها بربع قرن عندما ظهر جون من جديد في حياتها .

انه رئيسها المباشر في الشركة حيث تعمل سكرتيرة . ويقول لها: « واخشى ان يكون سلوكي معك في المستقبل اقلّ مودة مما هو مألوف بين الرجل العادي وسكرتيرته ، لأن احاسيس المرارة في نفسي تجاهك لن تسمح بغير ذلك».

أية علاقة ستقوم في هذا الجو المشحون بأشباح الماضي وأيّ رجل هو جون الذي كان زوجها ذات يوم ؟ وهل يصلا في النهاية الى حلّ ؟

لبنان	٦ ل.ل.	الكويت	٧٠٠ ف	اليمن	٨ ر	السودان	٧٠٠ م
سورية	٨ ل.س.	الامارات	٩ د	تونس	١ د	فرنسا	١٠ ف
الأردن	٥٠٠ ف	البحرين	٩٠٠ ف	ليبيا	٧٠٠ د	بريطانيا	١ ب
العراق	٥٠٠ ف	قطر	٩ ر	المغرب	٨ د	اليونان	١٢٠ د
السعودية	٨ ر	عمان	٩٠٠ ب	مصر	٧٠٠ م	قبرص	١ ب

١- الكهل المتصابي

هبط جيف السلم وهو يطلق صفيرا، وفتح باب غرفة الجلوس حيث كانت شقيقته وقال:

"الم يغل الماء بعد في الابريق؟"

صاحت كاترين من المطبخ:

"اعددت الشاي وسأحضره لك."

جلس أخوها متأملا يديه وقال:

"أزلت معظم الطلاء."

وتناول فنجانا من الشاي من فوق الصينية واستطرد قائلا:

"هذا ما كنت أحتاج اليه بالضبط من حسن الحظ أن الغرفة ليست مستعملة. لقد استغرقت مني وقتا طويلا. إن في البيت غرفا كثيرة خالية وكلها تحتاج الى التجديد."

"لو لم أكن مضطرة الى الخروج، لساعدتك."

"الديك موعد مع الكهل المتصابي السيد روتلاند؟"

"لا تقل عن فر نسيس الكهل المتصابي يا جيف .."

"لم لا؟ لست العضو الوحيد في هيئة التدريس الذي يفعل ذلك. كل عمداء الكليات لهم ألقاب تهكمية."

"أنا أعرف، ولكن ..."

"ولكن هذا يقلقك، لأنه يذكرك بعمره، اسمعي يا كاث،

أعرف أننا طرقنا هذا الموضوع مرات، لكنني أتساءل ما إذا كنت تدركين حقا ما تفعلين. أنت في السابعة والعشرين تقريبا وهو في الثانية والخمسين. هل من الحكمة أن تتزوجي رجلا في سن أبيك؟"

أدارت كاترين خاتم الخطبة الماسي وقالت:

"قلت ذلك مرارا يا جيف حتى ضقت به. ما أريده الآن هو الأمان، وليس الحب المحموم. عرفت ذلك الحب منذ حوالي عشرة أعوام، وأنت تعرف الى أين قادني : الى المحكمة والطلاق وكنت لا أزال في الحادية والعشرين من عمري."

"أنت كنت السبب في ذلك. كان عليك أن ترافقي جون الى اميركا. فقد كنت زوجته. أعرف أنك كنت حينذاك في السابعة عشرة فقط. لكن مكانك كان الى جانب زوجك. حتى جدتنا كانت تعتقد بأنك ارتكبت غلطة فظيعة."

"لكنك تعرف جيدا لماذا تخلفت عن الذهاب معه. شعرت أنني لا أستطيع أن أترك جدتنا بعد كل ما فعلته من أجلنا حين مات أبوانا. وتذكر أنك أنت كنت في الخامسة عشرة فقط. وكانت أمامك سنوات من الدراسة قبل أن تحصل على كل مؤهلاتك الهندسية. ولا تنس أيضا أنني كنت الوحيدة التي أعمل في الاسرة، علاوة على ما كان يدفعه النزلاء."

واستطردت تقول:

"على أية حال ما زلت مقتنعة بأن جون كان يريد التخلص مني."

"ولهذا كتبت وزعمت أنك التقيت رجلا آخر، وأنك ستطالبين بالطلاق منه، في حين أنك كنت طوال الوقت هائمة بحبه."

"صدقني جون، وكتب ليخبرني بأنني إذا كنت أريد حريتي، فانني أستطيع الحصول عليها."

وتنهدت، ثم تابعت:

"وهكذا انتهى زواج جميل لم يدم الا ستة أشهر. ولكن

ذلك كان منذ وقت طويل٠"

"لو كنت مصممة يا كاث على المضي في هذه الخطبة، فيجب أن تتأكدي من أن ذلك هو ما تريدينه حقا، كوني صريحة٠ إنك لا تستطيعين أن تحبي هذا الكهل المتصابي٠"

"إنني مغرمة بفرنسيس٠"

"شكرا على الشاي ٠٠ أنا ذاهب الى هيلين هذا المساء ٠٠٠ استمتعي بوقتك ولا تتمادي في اثارة عواطف الكهل المتصابي٠"

كانت كاترين قد شاركت أخاها البيت ذا الطراز الفيكتوري منذ وفاة جدتها٠ تلك الجدة التي استطاعت أن تقوم مقام الاب والام اللذين قتلا في حادث سيارة٠ قالت لها ذات يوم:

"إنني كل من تبقى لكما الآن٠ وسوف أتيح لكما فرصة التعليم الجيد حتى لو اضطررت الى تأجير بعض غرف البيت للحصول على المال٠"

وكان ذلك ما فعلته الجدة ٠٠ وحينما أنهت كاترين دراستها في الثانوية، التحقت بأكبر كلية للعلوم التطبيقية في المدينة لدراسة السكرتارية، وعملت بعد ذلك كاتبة اختزال في مكتب محام، حيث التقت بفتاة أخرى جديدة تدعى مارجوري التي قالت لها :

"أرى أن تزورينا لتناول الشاي ومقابلة أخي٠ إن اسمه جون٠ وهو انتهى لتوه من دراسته الجامعية، ويتمرن على العمل مدرسا٠ انه ضعيف أمام الشقراوات وستعجبينه حتما٠"

وبعد بضعة أيام التقت كاث شقيق مارجوري الوسيم الذكي ووقع كل منهما في حب الآخر بعنف، حتى أنهما كانا لا يطيقان الافتراق٠ وهنا اقترحت الجدة الحل البديهي : لماذا لا يتزوجان؟ كان في البيت مكان لجون وبالمنحة التي كان يحصل عليها، إضافة الى راتب كاترين يمكنهما أن يعيشا دون متاعب مادية ٠٠

وهكذا تزوجا وغيرت كاترين عملها، وأصبحت موظفة على الآلة الكاتبة في المكتب العمومي في الكلية التطبيقية التي درست فيها٠ وذات أمسية في الصيف، أخبر جون زوجته أنه تلقى عرضا للالتحاق بمعهد للدراسات لمدة سنة وقال لها :

"يجب أن ترافقيني يا كاث٠ الحياة لن تكون لها قيمة من دونك٠"

لكنها رفضت وأخبرته أنها لا تستطيع أن تترك جدتها وحدها لرعاية أخيها، الذي كان في ذلك الحين مراهقا٠ وقالت له:

"ارحل من دوني يا جون، سأكون في انتظارك٠"

أخذها بين ذراعيه وقال:

"تعالي معي٠ لا أريد أن أتركك٠"

لكنها أصرت على الرفض ولم تخبر أحدا عن عذاب الوحدة الذي قاسته بعيدا عن زوجها٠ وحينما أوشك عام البعاد على الانقضاء، بعث اليها يخبرها أنه قرر قبول العرض لمدة عام آخر ٠٠ وكان قراره صدمة عنيفة لها، وبدا واضحا لديها أنه كان نادما على زواج متهور بفتاة صغيرة في مستهل حياته المهنية٠ وتأكدت أنه يجب عليها أن تنفصل عنه٠

وأفاقت كاترين من رحلة الماضي على صوت طرقات ثقيلة على الباب الأمامي٠ إنه فرنسيس جاء ليصطحبها، من أجل قضاء السهرة٠

كانت أمسية لطيفة تلك التي أمضتها كاترين مع فرنسيس في بيت صديقيهما المشتركين الزوجين كريسويل٠ وكانت كاترين قد أدركت مبكرا أن عليها أن تتأقلم مع الجو الجديد٠ وكان جورج كريسويل الأصلع ذو الخمسين عاما، والمتحذلق شأن غالبية المحامين، من معاصري فرنسيس، وكان يعرف كاترين منذ عدة سنوات٠

فقد كان هو الذي تولى شؤون والديها بعد

وفاتهما، وساعدها هي وشقيقها حينما ماتت جدتهما، وكان وكيل كاترين في طلب الحصول على الطلاق من زوجها - وقد سر هو وزوجته حينما أفلحت جهودهما في جمع شمل صديقهما القديم الأرمل فرنسيس روتلاند وصديقتهما الشابة كاترين بويل.

تولى فرنسيس ايصال كاترين في سيارته الى البيت وسألها في الطريق:

"ما رأيك يا عزيزتي في البيت الذي حدثنا عنه؟ هل تحبين فكرة شراء بيت جديد؟ يجب أن أقول إن الفكرة تروقني."

وأنا أيضا يا فرنسيس، وبما أن البيت لم يتم بناؤه بعد، فإننا نستطيع أن نراه في أي وقت. هل تعرف متى ينتهي العمل فيه؟"

"ذكر جورج أنه يحتاج الى ستة أشهر على الأقل - وإذا كان هذان الزوجان الراغبان فيه لا ينجحان في تدبير مبلغ لتسديد ثمنه فعلينا نحن أن نفكر في الموضوع."

وأغمضت عينيها، وتساءلت عما اذا كانت السيدة كريسويل تعرف قصة زواجها من جون منذ عشر سنوات، وعن طلاقها منه. وأقلقها ذلك بعض الشيء، لأنها لم تكن قد أخبرت خطيبها تاركة اياه يعتقد بأنها أرملة شابة. وكانت السيدة كريسويل من النوع الثرثار، حتى أن كاترين أحست أن خطيبها لن يلبث طويلا حتى يعرف الحقيقة منها، وأدركت أن عليها أن تخبره بنفسها عن كل شيء.

قال فرنسيس:

"سيتسلم الرئيس الجديد لقسم العلوم مهامه غدا يا عزيزتي. وعليك أن تصلي مبكرا لتكوني في استقباله وتأمين راحته."

"بالطبع يا فرنسيس. وبالمناسبة فأنا أعرف اسمه، ولا شيء عنه غير ذلك. لقد كنت في اجازة لاصابتي بنزلة برد في اليوم الذي جاء فيه."

"حسنا، إنه حاصل على درجة الدكتوراه، وكان يعمل في

مجال الصناعة، لكنه تمرن على التدريس منذ سنوات برغم أن لديه مؤهلات ممتازة وهو ذكي، وقد درس في الخارج وهو أصغر بكثير من الرئيس السابق."

وهمست لنفسها:

"اسمه رايت وهو يحمل درجة الدكتوراه. إذن سيكون الدكتور رايت في يوم ما حينما تتوطد معرفتي به، سأخبره أننا نشترك في اللقب .. سأقول له: يا دكتور رايت، إن اسمي بعد الزواج هو .. أو كان رايت أليس غريبا أننا نعمل معا؟"

واعتدلت في جلستها، لا يمكن أن يكون الأمر كذلك. لا يمكن أن يكون هو نفسه جون؟ إن رايت اسم شائع. كلا، لا يمكن أن يكون هو جون.

وفتح فرنسيس باب السيارة وقال:

"طابت ليلتك يا عزيزتي .."

غادرت كاترين البيت مبكرة في صباح اليوم التالي، ونزلت من الاوتوبيس، وسارت في اتجاه الكلية التطبيقية، ونظرت الى الساعة في بهو المدخل، وأدركت أن الوقت حان للذهاب الى مكتبها، ولاعداد نفسها لمقابلة القادم الجديد، وعادت تتساءل من جديد وهي تصعد درجات السلم الى الطابق الأول: كيف يبدو .. وطمأنت نفسها:

"لا يمكن أن يكون جون! فمثل هذا التطابق لا يحدث."

وفتحت باب مكتبها، وخلعت معطفها، ثم جلست أمام الآلة الكاتبة لتنهض في الحال حينما فتح الباب الداخلي في حجرة رئيس القسم، وأقبل منه رجلان: أحدهما كان فريد ويلفورد، رئيس قسم الهندسة. والآخر كان العضو الجديد في الهيئة. وحملقت كاترين في الوجه الوسيم الذي بدا كأنه يسبح أمام عينيها، وارتفعت يدها نحو حلقها، وتمنت لو استطاعت أن تمسك قلبها في يدها لتوقف نبضاته الخافقة.

وتولى فريد ويلفورد مهمة التعريف قائلا:

"آنسة سويل، أقدم لك الدكتور رايت، رئيس قسم العلوم، أي رئيسك الجديد. دكتور رايت، أقدم لك سكرتيرتك الخاصة، الآنسة كاترين سويل. واعتبر نفسك محظوظا، إنها أفضل سكرتيرة عندنا."

ورأته كاترين يقف هناك طويلا، نحيلا، بشعر كثيف، وعينين عميقتين نفاذتين، واستطاعت التنفس بصعوبة، وقالت لنفسها:

"إنه هو، هو جون." وعقدت يديها لتمنع رجفتهما.

والتقت نظراتهما، وحاول كل منهما عبور الهوة السحيقة التي حفرتها بينهما سنوات الفراق، ورفعت كاترين وجهها نحوه مرحبة بابتسامة مرتجفة. وفي غمرة الذهول من عدم التصديق بأن القدر جمعهما من جديد، استردت ملامحه حيويتها.

ومد اليها يدا باردة، سرعان ما سحبها كما لو كان لا يطيق مجرد لمس يدها، وسأل وقد ارتفع حاجباه:

"آنسة سويل؟ آنسة سويل؟"

وأومأت كاترين في صمت ولم يفهم فريد ويلفورد معنى السؤال، فضحك من أعماقه وقال:

"أجل يا عزيزي، ما زالت آنسة. أليس من الصعب تصديق ذلك؟ لكن هذا الحال لن يدوم طويلا. كما تستطيع أن تدرك من الأصبع الثالث في اليد اليسرى للآنسة. إنها كما يقال محجوزة للعميد. لا أقل من ذلك. لذلك أبعد عينيك عنها. إنها ستعمل سكرتيرتك الخاصة لفترة لن تزيد عن بضعة أشهر."

وكانت كاترين قد استردت رباطة جأشها، وقالت:

"أمامي بضعة أشهر يا سيد ويلفورد، ولذلك فان الدكتور رايت يستطيع أن يطمئن الى أنني سأساعده في الاستقرار قبل أن أهجره."

"حسنا أيها الزميل، سأتركك الآن مع سكرتيرتك."

وكان لا بد للصمت بينهما أن يقطع، وقالت كاترين في تردد:

"إنني آسفة على حدوث ذلك. لكن لسوء الحظ ليس لنا ما يمكن عمله لتبديل الواقع."

وضاقت عيناه وقال:

"الا يوجد شيء؟ إن علينا أن ننظر في الأمر، أليس كذلك؟"

وبينما كان هو يستدير مبتعدا، كانت هي تتكلم ثانية. قالت:

"هل أستطيع أن أساعدك؟"

وقال قبل أن يصفق الباب خلفه:

"إذا أردتك أطلبك."

وتهالكت كاترين على المقعد وهي تقاوم الدموع المنهمرة. وألقت برأسها بين يديها. يا لقسوة القدر! كيف يكون لهما أن يعملا معا اذا كان سلوكه يدل على أنه لم يغفر ولم يقدر؟ ما الذي فعلته به الايام؟ لم يكن أبدا في عينيه هذا الجمود القاسي؟

وحاولت أن تستجمع شتات نفسها. وساعدتها قوة ارادتها على السيطرة على انفعالاتها. وفرزت البريد، واختارت مجموعة من الرسائل كانت تستطيع أن تتصرف فيها بنفسها دون أن تكلف رئيس القسم الجديد عناء الاهتمام بها. وبعد أن جمعت المعلومات الضرورية للاجابة عليها، جلست أمام الآلة الكاتبة لتكتب الردود المناسبة.

وطرقت باب غرفته ومعها الرسائل المكتوبة، ودخلت. سألها:

"ماذا تريدين؟"

"أرجوك الا تعترض. لكنني التقطت بعض الرسائل من بريدك، ورددت عليها بنفسي. هل تتكرم بالتوقيع عليها؟"

"ماذا فعلت؟"

وأمام موجة غضبه العارم، وجدت نفسها تتراجع الى الوراء، في حين استطرد هو صائحا في استنكار:

"تردين على بعض رسائلي، قبل أن تسمحي لي أولا بقراءتها، ودون أن تستأذنيني؟ هل هذه احدى عاداتك؟"

"إنني آسفة. كنت أفعل ذلك مع من سبقك."

"اسمعي يا آنسة سويل. دعينا نسوي هذا الامر منذ البداية. إنني رجل جديد هنا، ولي أفكاري الجديدة. وما كان يناسب من سبقني لا يناسبني بالتأكيد. ولذلك فيجب مستقبلا، وبصفتي رئيس القسم الذي يجب أن يتحمل كل تبعاته، أن استشار قبل أن تأخذي أي شيء على عاتقك. إن المبادرة شيء جيد في المكان المناسب، ومن الشخص المناسب. وفي رأيي أن الشخص المناسب لممارسة المبادرة ليس السكرتيرة، لكنه الرئيس، مفهوم؟"

"نعم يا دكتور رايت."

"ضعي الرسائل هناك. سأراجعها، وإذا كانت هناك ضرورة فستعيدين كتابتها من جديد. والآن دعيني في سلام."

وأغلقت الباب المشترك بينهما، وتهالكت على مقعدها شاحبة الوجه، ذاهلة. وأحست بالارهاق وهي تحاول إيجاد حل: إنها لا تستطيع الاستقالة من عملها، لأنها محتاجة الى المال، واحتمال تقديم فرنسيس لموعد الزواج ضئيل، لأنه مصر على أن يقدما على بداية مشرقة في بيت جديد. ولا يستطيع جون التخلص منها، لأنها كانت متقدمة على كل السكرتيرات الأخريات. ومن الطبيعي أن تكثر التساؤلات إذا حاول أن يحدث تغييرا.

وعندما وصلت الى البيت، كانت في شدة الارهاق النفسي، وحاولت أن ترفع معنوياتها بفنجان شاي، وأعدت وجبة العشاء، ثم بدأت في حزم حقيبة لجيف الذي كان سيسافر الى لندن صباح اليوم التالي لحضور دورة دراسية هندسية

لمدة يومين.

وفتح الباب الخارجي، فنادت كاترين:

"تعال الى هنا يا جيف قبل أن تصعد الى غرفتك، أريد أن أتحدث معك."

"مرحبا، ما الخبر؟"

ثم رأى وجهها فاستطرد متسائلا:

"هل هناك شيء ما يضايقك يا كات؟"

"هل قابلت رئيس قسم العلوم الجديد؟"

"رئيسك الجديد؟ كلا، لماذا؟ سمعت أنه كان في جولة في أنحاء الكلية عصر اليوم. لكني لم أقابله لأنني كنت أحاضر."

"هل تعرف اسمه؟"

"اسمه؟ أجل، أطلعوني عليه. ان اسمه رايت. تذكرته لسبب واضح هو أنه يشبه اسم زوجك السابق. لكن هناك كثيرين بهذا الاسم."

"إن اسمه الدكتور رايت، الدكتور جون رايت."

"هل هذا صحيح؟ انه تشابه غريب في الاسماء."

وقطع كلامه، وحملق فيها وقال:

"جون رايت؟ إنه بالتأكيد ليس زوجك السابق؟"

وأومأت بالايجاب، وجلست على ذراع المقعد لتتماسك. وتوهج وجه جيف وقال:

"جون. بعد كل هذه السنين؟ حسنا، إنني سعيد. أول شيء سأفعله غدا هو أنني سأذهب لرؤيته. لا أستطيع. إنني مسافر لحضور هذه الدورة الدراسية. بلغيه تحياتي الحارة. أراهن على أنك ابتهجت لرؤيته. أخبريني، كيف كان لقاؤكما؟"

ورأى الدموع تنهمر من عينيها .. وصاح:

"ماذا جرى؟ هل تزوج؟"

هزت رأسها بيأس، فهذا الاحتمال لم يخطر في بالها وقالت:

"إنه يكرهني يا جيف. وقد أثار جنونه أنني سكرتيرته. من الواضح أنه لم يغفر لي ولن يغفر لي أبدا. إنه سيحاول أن ينقلني من عملي."

"لكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك. إنك أقدم كاتبة على الآلة، ولهذا السبب جرى تعيينك هناك، لأنه أكبر قسم في الكلية."

"أنا وأنت نعرف ذلك يا جيف. لكنه لا يعرف. والواضح من سلوكه أنه سيقلب الدنيا رأسا على عقب للتخلص مني."

"اللعنة على هذه الدورة الدراسية. إن علي أن أتحدث مع جون في هذا الشأن بمجرد عودتي."

"لا جدوى في ذلك - سيكون الأوان قد فات حينذاك."

"أيتها الصغيرة المسكينة. أتمنى لو أستطيع أن أفعل شيئا لأساعدك. لقد كنت رائعة معي. وسيسعدني أن أرد بعض الجميل."

"شكرا يا جيف على النوايا الطيبة.."

××××

واستيقظت كاترين مبكرة في صباح اليوم التالي لتودع جيف قبل رحيله الى لندن. ثم استقلت الاوتوبيس للذهاب الى العمل.

وكان جون قد وصل قبلها، وكانت هي أمام المرآة تسرح شعرها حينما سمعت باب غرفته يفتح. وانتظر لحظة متوترا بينما كانت هي تعيد حاجاتها الى حقيبة يدها، ثم قال متهكما:

"تعالي الى حجرتي بالطبع حينما يكون لديك وقت فراغ!"

وحينما ذهبت اليه ورأى مفكرة الاختزال معها قال:

"ضعي هذه بعيدا. لست محتاجا بعد اليوم اليها. أريد أن أقول لك شيئا .."

وجلست في المقعد أمام مكتبه، ورفعت بصرها اليه. كان يقف الى جانب المقعد، وقد وضع يديه في جيبه. ووجهه خال تماما من أي تعبير. وسكت لحظة قبل أن يقول:

"إنك في الغالب تعرفين ما سأقوله. فإننا بطريقة ما لا بد أن نروض نفسينا على المأزق الذي وجدنا نفسينا فيه. بقيت ساهرا معظم الليل أحاول التفكير في حل، وقد وصلت الى هذه النتيجة: ..."

ثم نظر اليها وقال:

"دعيني أقول لك إنني لو كنت عرفت من ستكون سكرتيرتي الخاصة لرفضت دون تردد. على أية حال، لقد حدث ما حدث. وخطر لي أنني أستطيع تغيير سكرتيرتي."

وفتحت كاترين فمها لتتكلم، لكنه رفع يديه وقال:

"معذرة، أنا الذي يتكلم الآن. إنني أدرك أنني لو طلبت سكرتيرة أخرى، لأثار ذلك التساؤلات والتعليقات على اعتبار أنك أفضل سكرتيرة في هذه المؤسسة."

وابتسم ساخرا، واستطرد:

"إنني مضطر الى ابقائك. لكن شرط أن نتعامل كما لو كنا لم نلتق أبدا. وأخشى أن يكون سلوكي معك في المستقبل أقل مودة مما هو مألوف بين الرجل العادي وسكرتيرته. لأن أحاسيس المرارة في نفسي تجاهك لن تسمح لي بغير ذلك."

وانتظر منها ردا. لكنها لم تكن قادرة على التركيز، ولذلك استمر يقول:

"لقد دار في خلدي أنك استطعت أن تعطي الرجل الآخر أكثر بكثير مما حصلت عليه منك."

وفتحت فمها لتصرخ في عذاب بأنه لم يكن هناك أبدا رجل آخر. لكنه أسكتها قائلا:

"لا تخبريني كم من الوقت استمرت علاقتك به. لا أريد أن أسمع تفاصيل ماضيك المشين."

وكان واضحا أنه مصمم على ألا يسمع منها دفاعا. وهمست بصوت مبحوح:

"هل هذا كل شيء؟"

"كلا، إنه ليس كل شيء. يجب أن أحصل على وعد منك بأنك لا أنت ولا شقيقك الذي علمت أنه يعمل في هيئة التدريس في هذه الكلية ستذكران لأحد شيئا عن علاقتنا الماضية."

"أعدك بأنني سألتزم الصمت التام بكل ما يتصل بهذا الموضوع. وأنا على ثقة بأن جيف سيفعل الشيء نفسه."

"شكرا، إنني ببساطة لا أريد لأخطاء الماضي أن تشوه حياتي."

وأرادت الانصراف، لكنه طلب منها أن تبقى في مقعدها وقال بلهجة تعنيف:

"إنني لم أنته بعد. إن وضعنا أصبح أكثر تعقيدا بصفة كونك تستعدين للزواج من العميد. وأريد أن يكون واضحا أنني مهما قلت عن عمله أو عن أفكاره، فيجب ألا ينقل ذلك اليه. فبصفتك سكرتيرتي، ستكونين أمينة على أسراري مثل أية واحدة أخرى في وضعك."

وقالت كاترين بغضب:

"إذن، إضافة الى كل ما اتهمتني به فإنك تلمح الآن بأنني نمامة."

"أرى من رد فعل كلماتي أنك أخيرا فهمت ما أقصده."

"هل انتهيت؟"

وجلس فوق مقعده المتحرك. ودار به يتأملها. ورأى شعرها الأشقر وقد أحاط بوجهها المحتقن بنعومة. وتفحص قدها الصغير الدقيق من خلال ثوبها الصوفي الأزرق الجذاب. ونظر الى شفتيها الحمراوتين، وعينيها الزرقاوين، ثم ابتسم وقال:

"انتهيت؟ أستطيع الجواب دون تردد وبما لا يدع مجالا للالتباس. نعم، انتهيت تماما معك. شكرا."

واصطدمت عيناهما. واستدارت منصرفة، وصفقت الباب خلفها مدركة أن رد الفعل لديه لم يكن سوى ابتسامة النصر على شفتيه.

ووضعت كاترين مفكرتها على المكتب وهي تقاوم دموعها، ونظرت من النافذة الى الطريق الموصلة الى مبنى قسم التدبير المنزلي والتجارة، حيث كانت تعمل هيلين براون، صديقة جيف.

والتفتت بسرعة حينما فتح الباب المؤدي الى الممر. وأطل منه وجه هيلين الجميل، وقالت:

"مرحبا، أردت فقط أن أطمئن الى أن جيف سافر الى لندن."

"تعالي، صحيح أنه تأخر كالعادة، لكنني ودعته عند الباب الخارجي في الوقت المناسب ليلحق بقطار لندن."

ونظرت هيلين الى باب حجرة جون، وسألت:

"كيف يبدو رئيسك الجديد؟ سمعت أنه رائع. هل هو متزوج أم خاطب أم مرتبط؟"

"لا أعرف، فأنا لست مهتمة بحياته الخاصة."

ونظرت هيلين الى ساعتها وقالت:

"يجب أن أذهب. اطلعيني على كل الشائعات حينما تسمعينها، وداعا."

إذن، فقد كان موضوع حديث الفتيات. كان ذلك في تفكير كاترين أمرا متوقعا. ولكن هل كانت له زوجة في مكان ما؟ ودفنت أفكارها وسط أكوام الرسائل. وارتفع رنين الهاتف الداخلي. ورفعت السماعة لتسكت الضجيج الذي كان يمزق أعصابها، وقالت:

"سكرتيرة الدكتور رايت، هل أستطيع مساعدتك؟"

"أنا الآنسة سميث سكرتيرة العميد. إن العميد يأمل في

أن تتفرغي له بعض الوقت."

"نعم، بالطبع. هل أذهب اليه؟"

"كلا، سيأتي اليك بعد حوالي خمس دقائق."

وبينما كانت تحملق في الفراغ متسائلة عما يريد فرنسيس، فتح الباب الداخلي وقال الدكتور رايت:

"آسف اذا كنت قد قطعت عليك تأملاتك."

وجفلت كاترين لهذه الملاحظة اللاذعة الجديدة. واستمر هو يقول:

"لكنني أضعت قلمي ... فهل رأيته؟"

"لا أعتقد."

وبحثت في أدراج مكتبها، وفي سلة المهملات، وحتى في حقيبة يدها مدركة أنها كانت تحت مراقبة جون الساخرة. وكمحاولة أخيرة، بحثت في أكوام الأوراق التي رفعتها من مكتبه في اليوم السابق لترتيبها. ووجدته بينها، وناولته إياه وهي تبتسم في خجل لشعورها بالذنب وتمتمت:

"آسفة."

"هذه بالتأكيد نقطة سيئة في سجل سكرتيرتي."

واستدار نحو الباب، ثم قال:

"أو ربما يكون لديك دافع نفسي خفي لتجريدي من قلمي؟"

واحتقن وجهها، وأغلقت بعنف الأدراج التي كانت قد فتحتها بحثا عن القلم.

وظهر العميد على عتبة الباب قائلا:

"كاترين، هل أنت مشغولة يا عزيزتي؟"

ورأى جون، فمد اليه يده قائلا:

"آه، دكتور رايت، كيف حالك في العمل؟ لا شك أنك ستتغلب على الصعوبات بمعاونة خطيبتي الساحرة."

وتأملها مفتونا، في حين بدا وجه جون جامدا وهو يقول:

"سمعت أنها ممتازة في كفاءتها .."

"حسنا، أنا أعرف أنه لا يجوز لي أن أتحدث عن امتيازها حتى لا أتهم بالتحيز لها. لكني أستطيع أن أغامر قائلا إنني مقتنع بأن الكفاءة ليست مطلبا أوليا في السكرتيرة الجيدة فحسب ولكن أيضا في الزوجة الجيدة."

"هل تعتقد ذلك حقا؟ إنني أعتقد أن هناك عوامل أخرى أكثر أهمية."

ونظرت كاترين الى الرجلين. وتأملت فرنسيس بقامته القصيرة الممتلئة التي بدت الى جانب القامة الطويلة النحيلة لزوجها السابق، أشبه برسم كاريكاتوري. وأدركت أن المشاعر المتفجرة التي دفنتها في أعماقها لن تلبث أن تتحرر من قيودها. وإذا انطلقت فانها ستقضي على أي أمل بمستقبل سعيد مع فرنسيس.

٢- المرحلة الجديدة

قال فرنسيس بامتعاض:
"كلا، يا زميلي العزيز. إن افتقارك للخبرة هو الذي يضلك - إنك لم تكن أبدا متزوجا، لذلك فإن عليك أن تتعلم الكثير."
وربت بحنان على رأس كاترين كما لو كانت طفلة، واستطرد قائلا:
"سيكون هذا زفافي الثاني، ولا أملك إلا التمني بأن يكون سعيدا ومرضيا مثلما كان الأول."
ولمحت كاترين ما ارتسم على وجه جون من اشمئزاز، وسحبت نفسا عميقا، وقاطعت بسرعة تأملات خطيبها قائلة:
"لماذا أردت أن تراني يا فرنسيس؟"
وفي الحال غادر جون الغرفة. قال فرنسيس:
"بخصوص ذلك البيت الذي أعجبنا. أخبرني جورج كريسويل أن الزوجين الراغبين فيه يحاولان مرة أخرى الحصول على رهن، لكنه يعتقد أنهما لن يفلحا، وسيخبرني بمجرد أن يسمع منهما خبرا، وحينئذ نستطيع مشاهدة البيت."
"إنه شيء مثير ذلك التفكير في بيت جديد."
ودفع العميد باب غرفة رئيس القسم، وقال:
"يجب أن نتحدث معا في أقرب فرصة يا دكتور إيست

قال فرنسيس بامتعاض:
"كلا، يا زميلي العزيز. إن افتقارك للخبرة هو الذي يضلك - إنك لم تكن أبدا متزوجا، لذلك فإن عليك أن تتعلم الكثير."
وربت بحنان على رأس كاترين كما لو كانت طفلة، واستطرد قائلا:
"سيكون هذا زفافي الثاني، ولا أملك إلا التمني بأن يكون سعيدا ومرضيا مثلما كان الأول."
ولمحت كاترين ما ارتسم على وجه جون من اشمئزاز، وسحبت نفسا عميقا، وقاطعت بسرعة تأملات خطيبها قائلة:
"لماذا أردت أن تراني يا فرنسيس؟"
وفي الحال غادر جون الغرفة. قال فرنسيس:
"بخصوص ذلك البيت الذي أعجبنا. أخبرني جورج كريسويل أن الزوجين الراغبين فيه يحاولان مرة أخرى الحصول على رهن، لكنه يعتقد أنهما لن يفلحا، وسيخبرني بمجرد أن يسمع منهما خبرا، وحينئذ نستطيع مشاهدة البيت."
"إنه شيء مثير ذلك التفكير في بيت جديد."
ودفع العميد باب غرفة رئيس القسم، وقال:
"يجب أن نتحدث معا في أقرب فرصة يا دكتور رايت

"نعم، أعرف الموضوع. هل تريدني في أن أحضر الملف الخاص به؟ لن يكون الأمر حينئذ في حاجة الى شرح."
وهز رأسه بالايجاب، واتجهت هي ناحية خزانة الملفات، وبعد لحظات كانت قد استخرجت الملف المطلوب، وعادت الى الوقوف بجانبه مرة أخرى. ولكن ذلك ضايقه، فقال:
"أحضري مقعدا، واجلسي قربي، وكفي عن الدوران حولي."
وفعلت ما طلب وهي تشعر بالحزن بسبب سلوكه الجاف. وعندما شكرها مرغما على معاونتها ابتسمت له في رقة وقالت:
"إنه عملي الذي أنال عليه أجرا. وقد أوصاني خطيبي أن أعطيك كل مساعدة ممكنة، وكما ترى فقد فعلت ذلك لارضائه."
وعادت الى مكتبها بعد أن أحست تعويضا عن اساءته لها بأن موقفه منها بدأ يتبدل.
كانت عاكفة على كتابة الرسائل التي أملاها عليها جون، عندما اكتشفت أن موعد تناول القهوة حان - وتساءل ما إذا كان عليها أن تخبره، وقررت أن تفعل ذلك بصفتها سكرتيرته - وطرقت الباب ودخلت:
"نعم؟"
"لا أدري ما إذا كان ذلك يهمك. ولكن القهوة تقدم كل صباح في هذا الوقت في غرفة طعام هيئة التدريس، هل تريد مني أن أدلك على الطريق؟"
وتردد ونظر اليها في حيرة، ومسح بلسانه شفتيه الجافتين، وقال وهو ينهض:
"إنني في حاجة الى فنجان منها. أريني الطريق .."
هل كان في حاجة لأن يكون فظا؟ فكرت في ذلك وهي سائرة معه في الممر. أقبل أحد الطلاب نحوها وقال:
"إننا نجمع المقالات لمجلة الكلية يا آنسة سويل. هل

لديك شيء منها·"
"آسفة يا بوب· اطلب من أخي السيد سويل في قسم الهندسة· ربما استطاع أن يعطيك بعض النكات اللائقة·"
وفتحت باب غرفة الطعام، وتركت جون يمر أمامها، وقالت له:
"القهوة تقدمها المضيفة· أما وجبات الغذاء فتقوم على نظام "اخدم نفسك"·"
وتلفت حوله مترددا أمام الوجوه التي استدارت نحوه متفحصة وسألها:
"أين أجلس؟"
"حيثما تريد· أم أنك تريد أن أمسك بيدك؟"
ودفعها بذهول لكنها ابتعدت وجلست قرب صديقتها في المكتب العام، وقالت:
"مرحبا يا جيل، كيف أحوالك؟ هل أمضيت عيدا سعيدا؟"
"رائع، شكرا، يا كاث· هل الرجل الذي جئت معه رئيسك الجديد؟ يبدو أنه ذو شأن رفيع· كيف حاله معك؟"
والتفتت كاترين حولها، ورأت أن جون اختار مائدة خالية قرب النافذة، كأنه يريد الوحدة· وكان عليها أن تقاوم الاحساس بالأسف عليه· وقالت:
"إنه على ما يرام· وسأوفر عليك مشقة السؤال وأبادرك قائلة إنني لا أعرف ما إذا كان متزوجا أم لا·"
واختلست كاترين نحوه نظرة أخرى· كان يحتسي قهوته بطريقة من يريد أن ينتهي بسرعة ليعود الى غرفته· ثم التقت عيناه بعينيها فارتعشت، وأشاحت بوجهها سريعا، وأخفت ارتباكها في التحدث مع رفيقتها·
وعندما عادت الى غرفتها، وجدت جون واقفا قرب الباب، وابتدرها قائلا:
"إذا صدرت منك أية تعليقات وقحة مثل تلك التي سمعتها

في غرفة الطعام، تنالين بالضبط ما تستحقين·"
"أنا آسفة اذا كنت وقحة·"
وبدأت في الضرب على الآلة الكاتبة لتجعل استمرار المناقشة مستحيلا، وعاد هو الى مكتبه·
ومضت فترة ما بعد الظهر في هدوء، وعاد جون من القاء درسه في الرابعة والنصف واستدعاها الى مكتبه وبادرها قائلا:
"أخبريني ·· هل صحيح أن شقيقك مدرس في قسم الهندسة؟ اذا كان ذلك صحيحا فلماذا لم أره؟"
"نعم، انه يعمل هنا· لكنه متغيب في لندن اليوم وغدا لحضور دورة دراسية·"
"كم يبلغ من العمر؟"
"انه في الخامسة والعشرين· لقد كان في الخامسة عشرة حينما ··"
"حينما؟"
"حينما رحلت الى امريكا·"
"تماما، أنا أيضا أستطيع الحساب ··"
"وعمرك أنت الآن؟"
"ألا تتذكر؟"
"كلا، هل يجب أن أتذكر؟"
"حسنا، لقد كنت في السابعة عشرة والنصف حينما كنا ··· حينما سافرت، وأنا الآن في السابعة والعشرين تقريبا·"
"كان ذلك منذ مدة طويلة للغاية· أين تعيشين؟"
"في البيت نفسه الذي عشنا فيه دائما·"
"وحدك؟"
"كلا، مع جيف· لقد ماتت جدتي منذ ثمانية عشر شهرا·"
"إنني آسف لذلك· كانت سيدة طيبة·"
"كانت رائعة·"

وسكتت كاترين لحظة، ثم استطردت قائلة:
"ورثت أنا وأخي البيت ومحتوياته".
"هل البيت مقسم الى جزئين؟"
"جيف يستعمل بعض غرف الطابق الاعلى، وأنا غرف الطابق الاسفل والمطبخ طبعا".
"هل تملكين سيارة؟"
"كلا".
"وجيف؟"
"كلا، إنه يستطيع القيادة. لكننا في الواقع لا نستطيع شراء واحدة. إن البيت كبير، ويحتاج الى نفقات كثيرة لادارته".
"ماذا سيحدث حينما تتزوجين؟"
ووقفت قائلة:
"إن جيف مرتبط بخطبة غير رسمية، وسيتزوج حتما بعد فترة. ونحن لم نناقش بعد المشكلة معا، سنواجهها حينما يحين الوقت".
ونهض وأبلغها أنها تستطيع الانصراف.
وأثناء رحلة العودة القصيرة الى البيت في الاتوبيس، حاولت أن ترتب أفكارها المشتتة: لماذا كانت كل هذه الاسئلة؟ لماذا الاهتمام المفاجيء بأمورها؟
وأمضت أمسية تعسة في استعادة الماضي، محاولة دون جدوى الهرب من ذكريات حياتها الزوجية مع جون.
وفي صباح اليوم التالي ساعدته مرة أخرى في فحص البريد. بدا أكثر برودة وابتعادا. وفجأة قدم لها ورقة من مفكرة الكلية، وأشار الى الكلمات المطبوعة فوقها وقرأ:
"جميع الردود توجه الى العميد" ثم قال:
"ماذا يعني ذلك؟"
"إنه يعني ما هو مكتوب. ان كل الرسائل المرسلة من الكلية أيا كان موقعها يكون الرد عليها موجها الى العميد وليس

الى كاتب الرسالة".
"هل تقصدين اجباري أن هناك فتيات يجلسن في مكتب الكلية، لفتح كل ظرف معنون باسم رجل واحد وقراءة محتوياته لمعرفة الى من هو موجه؟"
"هذا صحيح".
"أنا آسف، اذا كان هذا هو الحال، فإنني أرفض هذا الامر. اشطبي هذه التعليمات، واكتبي بدلا منها "نرجو الرد على الموقع أدناه"".
"يجب أن تستأذن العميد في ذلك أولا".
"كلا، انك ستفعلين ما قلت دون جدال".
وارتسمت في عينيه نظرة ازدراء واستطرد قائلا:
"ودون أن تهرعي الى العميد لنقل الحكاية".
واستمر اضطرابها حتى بعد أن عادت الى مكتبها. وأحزنها أن السنوات العشر التي انقضت أحدثت في أخلاقه هذا التبدل الغريب.
وعندما حان موعد تناول القهوة، وجدت في نفسها الشجاعة الكافية لأن تطرق بابه، وقالت:
"هل ستذهب لتناول القهوة يا دكتور رايت؟"
"لن أذهب هذا الصباح".
"أقدمك الى الآخرين اذا رغبت".
"كلا، شكرا. أنا أفضل أن أشرب هنا الماء على أن أذهب الى هناك ثانية. أخبريني هل أعضاء التدريس في العادة غير ودودين مع القادمين الجدد؟"
"أعتقد أن ذلك يبدو لأنك جئت من الخارج لتحتل منصبا رئيسيا. وهذا ما سمعته".
واستدارت منصرفة. لكنها أثناء احتساء القهوة مع صديقاتها، شردت بأفكارها بعيدا عن شائعاتهن، واستقرت بها عند الرجل الذي كان يجلس وحيدا في غرفته كان

مثل الولد الصغير، الذي يخشى المخاطرة بالخروج برغم أنه كان يتلهف على ذلك، حتى لا يتجاهله زملاؤه من جديد. وغمرها إحساس رقيق بالرثاء، وفرغت من تناول القهوة سريعا، واعتذرت لصديقاتها وذهبت الى المطبخ.

وهمست للمضيفة ماري:

"هل في استطاعتك أن تعطيني فنجان قهوة لأقدمه الى رئيسي الجديد؟"

"بالطبع يا عزيزتي. خذي له هذا الفنجان الكبير."

وسارت في اتجاه مكتبها حاملة بحرص شديد الفنجان الذي كان البخار يتصاعد منه.

وطرقت بابه ودخلت. ودفعت الفنجان على مكتبه. فصاح بعفوية ظاهرة:

"قهوة، يا لك من ملاك!"

ورفع عينيه في امتنان، ورأى الفرحة في عينيها. وحينئذ تنبه الى حقيقة ما قال. وفي الحال اختفى البريق من عينيه، وعادت اليهما النظرة الساخرة. وقال بسخرية:

"أم تراك تحاولين أن تفوزي برضاي؟!"

"كم تستطيع أن تكون بغيضا..."

"بغيض؟ إنني أستطيع أن أكون أكثر من ذلك بغضا، خصوصا في مواجهة شخص مثلك أنزل بي أقسى أنواع العذاب والألم."

ومال الى الخلف في مقعده، وراقب دموعها وعاد يقول:

"في كل مرة أراك فيها تبكين، أعرف أنني استرددت الشيء القليل مما ذرفته من دموع. من الأفضل أن تنصرفي."

ودفع بعيدا فنجان القهوة دون أن يلمسه.

حينما حل المساء، أحست كاترين بشوق الى عودة شقيقها. انه الصديق الذي يمكن أن تلوذ به في لحظات الضيق.

ووصل جيف متأخرا ومتعبا وجائعا. والتهم بسرعة

الوجبة التي كانت كاترين قد أعدتها له. وسألها عن أحوال العمل فقالت:

"لا يمكن أن تكون أسوأ مما هي عليه."

"ماذا جرى اليوم؟ هل أساء اليك جون؟"

"لن تستطيع تصور ما يحدث. إنه يعاملني كما لو كنت عدوته."

"أوه يا كات. لا تكوني مأساوية. إن خيالك يجمح بك."

"إنني بالتأكيد لا أتخيل السباب الذي يقذفني به كلما تقابلنا. ونحن نتقابل كثيرا."

وسكت برهة، ثم استطرد قائلا:

"سآتي الى القسم صباحا لرؤيته. هل سأل عني؟"

"نعم، اسمع يا جيف، إنه لا يريد أن يعرف أحد شيئا عن علاقتي الماضية به. ولذلك وعدته بأننا لن نخبر مخلوقا."

"ما دام ذاك ما تريدانه فيجب أن ألتزم به. لكنني سأحاول انتشالك من متاعبك. أنا لا أحتمل رؤيتك تعيسة على هذا النحو."

في صباح اليوم التالي كان جون واقفا قرب كاترين وهي تكتب احدى الرسائل عندما فتح الباب، واستدار جون، وفوجيء بالقادم ثم تهلل وجهه فرحا، وتقدم نحو القادم مادا يديه، وهتف:

"جيف!"

وأشرق وجه جيف ومد يديه قائلا:

"أنا مسرور لرؤيتك ثانية يا جون. لم تتغير على الاطلاق."

"ربما لا يكون قد حدث تغيير في مظهري الخارجي، لكنني

يا أخي كبرت عمرا وعقلا. أما أنت يا جيف فقد تغيرت كثيرا."

وضحكا، وشد كل منهما على يد الآخر، وبدأت الفرحة التي أحس بها كل منهما في لقائه بالآخر، تتسرب الى كاترين التي جلست تراقبهما في دهشة.

قال جون:

"تعال الى مكتبي يا جيف لنتحدث معا. كم تستطيع أن تمنحني من وقتك؟"

"إنني حر في الوقت الحاضر."

واستدار جون نحو كاترين وقد تغيرت تعابيره ولهجته. فقال:

"لا أريد أن يزعجني أحد، هل هذا واضح؟"

وأومأت موافقة واستمرت تعمل، لكنها كانت مشتتة بين الكتابة ومحاولة التصنت. ولم تستطع أن تسمع احاديثهما، لكن ضحكاتهما العالية، التي كانت تعقبها المناقشة الهادئة بينهما، ضاعفت من حزنها، وزادت من شعورها بأنها منبوذة.

وارتفع رنين الهاتف، وكانت مكالمة للاستفسار من جون عن أمر هام وطرقت بابه برقة، وفتحته. فانتفض جون، وقال بغضب:

"أعتقد أنني أخبرتك بأنني لا أريد الازعاج."

"إنني آسفة يا دكتور رايت، لكن هذه المكالمة الهاتفية مهمة. إن مكتب توظيف الشباب يستفسر عن أحد الطلبة."

"هل يمكنك التصرف بنفسك؟"

"وهل أستعمل خبرتي الخاصة يا دكتور رايت؟"

ولم ير جيف شرارة الغضب التي اندلعت من عيني جون وهو يرد:

"بالضبط يا آنسة سويل. استعملي خبرتك الخاصة من فضلك إذا كان ذلك لا يزعجك."

وشغلت بالعمل حتى أنها تأخرت عن موعد قهوة الصباح. وتعمدت أن تبتعد عن باب جون، وأسرعت بالانصراف مصممة هذه المرة على ألا تقدم له أيه خدمة. لكنها فوجئت عند دخولها غرفة الطعام برؤيته وسط مجموعة من زملائه، وكان جيف بينهم. واتجهت الى مائدة صديقاتها وجلست بينهن تتبادل معهن أحاديث مختلفة.

وانصرفت صاحبات كاترين، ولم يعد هناك من تتكلم معه، فاضطرت الى الاصغاء الى الاحاديث الدائرة من المائدة المجاورة.

وألقت نظرة ناحية جون، ورأت أن اهتمامه كله كان موجها الى المرأة الجميلة الشابة الجالسة بقربه - كان اعجابه صريحا بشعرها الاسود الفاحم المعقوص بوشاح من الشيفون الأحمر. وكان بالتأكيد مأخوذا بعينيها الواسعتين، وبشفتيها الجميلتين اللتين كانتا تنفثان بين الحين والآخر سحب دخان السيكارة. وتتحدثان في صوت ذي بحة خفيفة مع رنين السامعين وفي مقدمتهم جون.

قالت أنيت لينتون في محاولة ماكرة لاكتشاف حياة جون الخاصة:

"هل ضايق زوجتك يا دكتور رايت الانتقال من لانكشير الى ميدلاندز؟"

"ليست لي زوجة! انهم يسمونني الاعزب المرموق."

وقال فريد ويلفورد بدهشة:

"أعزب؟ كيف استطاع رجل وسيم مثلك أن ينجو طوال هذا الوقت من قبضة المرأة؟"

"قبضت علي امرأة حين كنت في العشرين، ولم أكف أبدا عن الندم."

قالت أنيت:

"إنك تعرف يا دكتور رايت أن ذلك ليس صحيحا، لأنك

تبدو في حالة ممتازة مما يدل على أن هناك من يعتني بك ويدللك٠"

وقالت كاترين لنفسها:

"كيف يروقه مثل هذا النوع من الكلام؟ إنها صائدة ماهرة وهو يستطيع بالتأكيد أن يدرك ذلك٠"

والتقت عيناها بعيني أخيها، ورأته يعبس ويلوي شفتيه - كانت كاترين تعرف أنه لا يطيق أنيت لينتون، وكان من الواضح أنه يكره أن يرى جون الذي يحبه ويقدره واقعا في شباكها٠

وقال السيد ويلفورد:

"بصرف النظر عن الخبرة الشخصية، فانني ضد الزواج المبكر٠ إن ابني يريد أن يتزوج فتاة الصيف القادم٠ إنه في العشرين، وما زال في الجامعة٠ فقلت له "انتظر يا ولدي سنتين على الاقل، فانك اذا فعلت مثلي فستعيش عمرك نادما٠"

وقال جون بابتسامة غامضة معبرا عن وجهة نظره في الموضوع:

"يقال أن الزواج المبكر لا يدوم٠ الاحصاءات تؤكد ذلك٠"

جلس جيم ميكسبي، رئيس قسم التجارة على المقعد المواجه لأنيت، وأشار الى المضيفة لاحضار القهوة وقال:

"يقولون أن نسبة الطلاق في الزيجات المبكرة أكثر ارتفاعا منها في الزيجات المتأخرة٠"

وابتسم لأنيت وقال:

"وبما أنك لن تكوني من المراهقات يا أنيت بعدما تنتهين من مغامراتك وتجدين الرجل المناسب فستحظين بزواج مستقر٠"

ونظرت أنيت بحياء الى المتحدث، وقالت:

"لكن النساء لا يفعلن ذلك٠"

ورأت كاترين أن جون يختلس نظرة الى وجه الفتاة،

توحي بأكثر من مجرد الاهتمام وقال:

"ماذا تسميها إذن؟"

"أنا أفضل يا دكتور رايت أن أسميها اللهو الرومانسي الخيالي٠ ألا تعتقد أن ذلك أكثر نعومة، أو ربما أكثر خداعا؟"

قال جيف بعد صمت طويل:

"الخداع ينطبق عليك أكثر٠"

"إنك يا جيف تعطي انطباعا لرئيس القسم الجديد بأن لي حظوة خاصة مع الرجال٠"

وعادت تبتسم لجون وقالت:

"ليس في هذا شيء من العدل ٠٠ أليس كذلك يا دكتور رايت؟"

"لا أعرف، وسأحاول أن أكتشف بنفسي٠"

كانت كاترين قد سمعت ما فيه الكفاية٠ ودفعت مقعدها الى الوراء بصوت مرتفع جعل جون يلتفت اليها٠ ورآها غاضبة محتقنة الوجه، وراقبها بعينين ضيقتين وهي تبحث عن ماري لتدفع ثمن القهوة، ثم سمعت كاترين أنيت تقول:

"بالمناسبة يا سيد رايت، اسمي أنيت، وأنت؟"

"اسمي جون، نادني هكذا٠"

ونهض السيد ميكسبي قائلا:

"احترس يا دكتور رايت٠ لقد وضعتك على شاشة الرادار الخاصة بها وقبل أن تعرف أين أنت، ستحترق باشعاعات عينيها الواسعتين٠"

"أتعتقد ذلك؟ انني أستطيع التخلص من تأثير الاشعاع القاتل في الوقت المناسب٠"

٣- كاترين الممثلة

بذلت كاترين قصارى جهدها لكي تكبح جماح انفعالاتها وهي في طريق عودتها الى مكتبها • ودخلت الى أحد الصفوف ونظرت الى ساعة الحائط، وقالت:

"حسب هذه الساعة، تتبقى سبع دقائق من فترة الراحة• تعالوا الى مكتبي لأجتمع بكم هناك•"

وكانت مورين طالبة الفنون الشابة الجميلة هي أول من تكلم• قالت:

"إننا نريدك يا آنسة سويل أن تقومي بالدور النسائي في مسرحيتنا • إنها كوميدية روسية قديمة مترجمة الى الانكليزية• وساندها دافيد هيكلي، سكرتير اتحاد الطلبة قائلا:

"ستنالين الاعجاب يا آنسة، لأن لك مواصفات بطلة الدور ••• اللون والحجم والجمال •••"

وضحكت كاترين وقالت:

"هذا كله يعتمد على ما إذا كنت سأتمكن من حفظ الدور في الوقت المناسب• هل هو دور طويل؟"

وأكدوا لها أن كل شيء سيكون سهلا بفضل قدرتها، واستمروا في محاولاتهم حتى حصلوا على موافقتها•

قالت مورين:

"أما وقد ضمنا موافقتك، ألا يمكنك أن تجدي لنا بطلا؟ ماذا عن خطيبك؟ هل هو من هيئة التدريس، هل يقبل القيام بالدور؟"

وضحكت كاترين، فقد كان خطيبها بعيدا كل البعد عن صورة البطل الذي كان من الواضح أنهم يريدونه ملائما لها. وارتفع من الغرفة الأخرى صوت قوي، واستدار الطلبة وهمست مورين:

"من يكون هذا رئيسك؟ هل يمكن أن يقوم بالدور؟ ألا تستطيعين سؤاله؟"

وفكرت كاترين في أن هذه دعابة ساخرة جديدة، لكنها لم تضحك هذه المرة، وقالت:

"لا أستطيع على الاطلاق. حان وقت عملي. وافقت على أن أكون البطلة، وعليكم أن تبحثوا بأنفسكم عن البطل."

وضحكت كاترين من جديد وهي تصرفهم من غرفتها، وفي هذا الوقت فتح باب غرفة جون، وظهر وهو يقول بانفعال:

"ما كل هذه الضجة؟ يبدو أنك وجدت الأمر مضحكا للغاية."

وشرحت له كاترين الموقف. وبدا ساخطا، وقال:

"أنا أمثل دور البطل؟ كلا، شكرا. كان يمكن أن أوافق لكن بشرط أن يكون مسموحا لي بأن أختار بطلتي. ولسوء الحظ يبدو أن البطلة اختيرت بالفعل، وهذا الاختيار لا يناسبني."

وعضت كاترين على شفتها .. وارتفع رنين الهاتف، ورفعت السماعة لتسمع صوتا نسائيا مبحوحا يسأل:

"هل يمكن أن أتحدث الى الدكتور رايت؟"

وعرفت كاترين صاحبة الصوت، ومع ذلك سألت:

"من المتكلم؟"

"دعيني أتصل به."

وناولت جون السماعة وقالت:

"امرأة، رفضت ذكر اسمها تريد التحدث اليك."

"هذا بلا ريب أمر مشوق، مرحبا آنيت. الليلة؟ نعم، لست مرتبطا، في بيتك؟ رائع، نعم. سأكون سعيدا بطعام منزلي، لم أنعم بذلك منذ سنوات. تعرفين الحياة في الفنادق - الوقت؟ العنوان؟ حسنا، انتظريني."

وسجل الموعد والعنوان، وأعاد السماعة الى مكانها، وقال:

"هذه المرأة تعمل بسرعة. ما هو لقبها؟ لم ألتقطه حينما قدم كل منا الى الآخر، ماذا تعمل؟"

"انها آنيت لينتون، وهي رئيسة قسم التدبير المنزلي، وآكلة الرجال."

"هذا يجعلني أكثر لهفة على الذهاب لا أستطيع أن أتخيل شيئا أعظم نشوة من أن تلتهمني المخالب الأنثوية الجميلة."

وبدأت كاترين تضرب على آلتها وهي تكبت توترها، وسخطها وتعاستها .. وتمنت لو ذهب بعيدا عنها.

سألت كاترين شقيقها:

"ماذا قال لك جون هذا الصباح؟ لقد أمضيتما معا وقتا طويلا ولا بد أنكما تحدثتما عن الماضي."

ونظر جيف بطرف عينه نحو أخته، ثم قال بتردد:

"لقد سألني عن "الرجل الآخر"."

"ماذا قلت له؟"

"طلبت منه أن يسألك أنت إذا كان يريد أن يعرف الحقيقة."

"وماذا قال عن ذلك؟"

"همهم بشيء أشبه ب "لن يحدث ذلك" ثم غير الموضوع."

"يجب الا تخبره أبدا يا جيف، عدني بذلك."

"أنا ما زلت أعتقد أنك حمقاء تماما، ولكن هذا شأنك."

وتردد ثم قال:

"دعاني الى العشاء مساء الأحد في الفندق الذي يقيم فيه."

"يوم عيد ميلادي، هل قبل؟"

"اعتقدت أنك لا تهتمين. فأنت ذاهبة الى بيت الكهل المتصابي، أليس كذلك؟"

"نعم. أنا ذاهبة الى بيت فرنسيس، ولذلك لا يعنيني أين تذهب، ولكن في أي فندق يقيم؟"

"في الكونتيننتال."

"ماذا؟ أكبر فندق في المدينة؟ كيف يستطيع أن يواجه هذه النفقات؟"

"يبدو أنه قادر. هل رأيت سيارته؟ انها جاغوار بيضاء من أحدث طراز."

"بالمناسبة، هل عرفت أنه دعي الى بيت أنيت هذا المساء؟"

"قابلها صباح اليوم فقط. يجب أن أحذره."

"لا جدوى من ذلك. حاولت أنا فقال إن ذلك زاده لهفة.

وتنهدت وعادت تقول:

"ماذا قال لك أيضا؟"

"إنه يبحث عن شقة مفروشة."

ونهض واقفا وقال:

"علي بعض الواجبات المنزلية قبل أن تحضر هيلين."

صممت كاترين على أن تذهب صباح اليوم التالي الى عملها مبكرة، وكانت تعلق معطفها عندما سمعت أصواتا ترتفع من غرفة رئيس القسم. كان أحد الأصوات لجون، وتبينت وسط فيض من الدهشة أن الصوت الآخر كان لأخيها لا غرابة إذن في أنه عجل في الانصراف فور تناوله الفطور. أراد أن يصل قبلها.

وجلست أمام مكتبها، وحاولت أن تصم أذنيها عن سماع كلامهما، لكنهما كانا يتحدثان بصوت مرتفع مسموع. كان جون يقول:

"من الذي دفعك الى هذا؟ أختك الغالية؟ تستطيع أن تخبرها على لساني أن تبتعد عن حياتي الخاصة."

"إنها فقط تهتم بمصلحتك يا جون."

"بعد ما فعلته بي منذ عشرة أعوام؟ لا بد أنك تمزح."

وسكت، لكنه لم يتلق رداً فاستمر يقول:

"اسمع يا صديقي، أنا رجل، وحينما تتعمد امرأة مثل أنيت أن تعترض حياتي، فهل يمكن لرجل طبيعي غير مرتبط مثلي، أن يهرب منها؟"

"حسنا، إنني أحذرك فقط. هذه المرأة خطرة."

"نعم، ولكن أي خطر، وأية طريقة رائعة للموت!"

"تهكم كما شئت، لكني لا أدري كيف لك وأنت رجل المبادىء السامية أن تحتمل مثل هذه المرأة المشبوهة في حين أنك من ناحية أخرى، لم تستطع كما يبدو أن تغفر."

وقاطعه جون قائلا:

"جيف، عندما أتزوج امرأة، المفروض أن أتوقع منها أرفع المستويات الخلقية والسلوكية."

ومرت فترة صمت قبل أن يستطرد جون قائلا:

"لا تقلق بشأني يا جيف. إنني أستطيع عند الضرورة أن انقذ نفسي من اللعبة."

"حسنا. أعتقد أنك تعرف ماذا تفعل، ولكن .."

"إني آسف يا جيف، ولكنني الآن ساخر تماما في نظرتي للمرأة، عندي مناعة ضدها. فبعد أختك، لن أثق بامرأة أخرى."

وسمعت كاترين باب الغرفة الآخر يغلق، وأدركت أن أخاها انصرف. وفتح الباب الداخلي، ووقف جون على عتبته متسائلا:

"كم مضى من الوقت على وجودك هنا؟ هل استمعت الى مناقشتنا؟"

"صوتكما كان مرتفعا بحيث لم أستطع مقاومة التصنت."

"إذن، فأنت تستحقين ما سمعته. هل تعرفين ما يقال

عن المتصنتين؟"

"لكني ٠٠"

وصفق الباب دون أن يسمع جوابها٠

وبعد دقائق قليلة ارتفع رنين هاتفها الداخلي، ورفعت السماعة قائلة كالعادة:

"سكرتيرة الدكتور رايت هنا٠"

وجاء الرد تهكميا:

"هل هذا صحيح؟ إذن الدكتور رايت يريدك في الحال٠"

ودخلت غرفته وجلست، فقال لها:

"إن أحد أعضاء هيئة التدريس سيغادرنا قريبا، فهل من الممكن لمدرس موجود أن يرقى آليا الى الوظيفة الشاغرة، أم أنه من الضروري الاعلان عن الوظيفة؟"

"في التعليم يجب الاعلان عن كل وظيفة شاغرة٠"

"لنفترض أن هناك شخصا في هيئة التدريس أراه جديرا بالعمل، فماذا يحدث؟"

"لا بد أولا الاعلان عن كل وظيفة شاغرة، لكنك تستطيع بالطبع أن تنبه المدرس الذي يهمك أمره الى أن الوظيفة شاغرة، وأنك تأمل أن يأخذ المبادرة ويتقدم لشغلها، وحتى في هذه الحال، قد تفضل اللجنة اختيار شخص آخر٠"

"إذن فان عضو هيئة التدريس المسكين يمكن تخطيه - ولا شك في أنه قد يبحث عن عمل في مكان آخر، وتفقد الكلية مدرسا جيدا٠ انها طريقة عقيمة٠"

"البعض في مجال التعليم يا دكتور رايت، يرى أنه من الافضل للمؤسسة التعليمية أن تطعم نفسها بدماء جديدة٠ واذا رقى الموجودون في هيئة التدريس باستمرار، فان الجدد الوحيدين سيكونون المبتدئين الذين لا يملكون الخبرة الكافية لعمل اضافي٠"

وابتسمت له بلطف وقالت:

"جئت من الخارج، وتبوأت عندنا وظيفة عالية٠ كان يمكن أن تكون من نصيب أحد أعضاء هيئة التدريس٠"

"أظن أنك تحاولين القول بأن الاخذ بطريقة الترقية الداخلية من شأنه أن يضيق نطاق الاختيار في مجال التعليم، وهذه ظاهرة غير صحية٠"

"نعم، هذا رأيي٠"

وأحست بنشوة لجو المساواة الذي ساد المناقشة بينهما٠ ونظرت اليه في خجل، ولمحت تعبيرا غريبا على وجهه وهو يتأملها، والتقطت أنفاسها وسألت فجأة:

"هل أستطيع الانصراف الآن؟"

وكان على وشك أن يرد حينما رن جرس الهاتف الداخلي مشوها صفاء الجو بينهما٠ ورفع جون السماعة وقال في اقتضاب:

"نعم، انها هنا٠"

ثم قال لها:

"إنه خطيبك٠"

ونطق بالكلمة كما لو كان يكره كل حرف فيها٠ ومالت هي فوق مكتبه لترد على المكالمة:

"مرحبا يا فرنسيس٠ يوم الأحد، نعم٠ سيسعدني ذلك، شكرا٠"

وبدا واضحا أن جون لم يحتمل سماع هذا الحديث٠ وانتزع نفسه من مقعده، ووقف أمام النافذة، واختلست هي نظرة نحو ظهر رئيس القسم واستمرت تقول:

"الآن يا فرنسيس؟ حسنا٠"

ووضعت السماعة ٠٠ في حين اندفع هو متسائلا:

"هل يجب أن تظلي ترددين نعم، نعم يا فرنسيس؟ ألا تقولين أبدا كلا يا فرنسيس؟"

"إنني آسفة يا دكتور رايت، ولكنه يريدني أن أذهب

اليه الآن·"

"الآن، أثناء عملي؟ ماذا أفعل في انتظار عودتك؟ أذهب في جولة حول المبنى؟"

"لا أعتقد أنني سأغيب طويلا· هل يضايقك ذلك؟"

"بالطبع يضايقني· أوه، اذهبي·"

وذهبت الى فرنسيس في مكتبه واحتلت المقعد المجاور له· وانطلق هو يقول:

"أكدت في التليفون أن عيد ميلادك يوم الأحد – وهذا يوافق ما سجلته في مفكرتي – إن هديتك هنا في درج مكتبي ···"

وفتح الدرج، وسحب منه لفافة صغيرة أنيقة، وقال:

"هذه هديتي اليك يا كاترين·"

واحتقن وجه كاترين، وأخذت الهدية بيدين مرتجفتين· وكأنها تريد أن ترفض الهدية· لكنها قاومت هذا الشعور، ونزعت الغلاف الورقي، وظهرت لها علبة طويلة ضيقة فتحتها وحملقت ذاهلة· كان في داخلها ساعة ذهبية صغيرة·

"إنها رائعة، شكرا· هل ·· هل أستطيع أن أضعها حول معصمي الآن؟"

"بالتأكيد يا عزيزتي، دعيني أغلقها لك·"

نهض فرنسيس من مقعده وتقدم منها ثم أحاط معصمها بالساعة وطوقها بذراعيه، فدهشت لهذا التصرف، لكنها استطاعت أن تحافظ على هدوء مظهرها، وابتسامتها· وبدا هو مغتبطا بذلك وقال:

"سأصطحبك يا عزيزتي مساء الأحد للعشاء بالخارج· تعالي الى بيتي في السابعة والنصف· وسنخرج من هناك· والآن يجب أن أستأنف عملي·"

وصعدت السلم ببطء في طريقها الى مكتبها· أحست بأنها غير قادرة على مواجهة جون ومجابهة نظراته التهكمية· ووجدته واقفا قرب آلتها الكاتبة يعبث بالمفاتيح·

ولاحظ احتقان وجهها، ولمعان عينيها، ثم رأى ساعتها·

وحينما وقفت قربه، التقط معصمها بأصابع باردة، وتفحص الهدية وقال:

"لا بد أنه دفع فيها مبلغا كبيرا·"

ثم تجمدت تعابيره وقال:

"ماذا فعلت الآنسة سويل لتستحق هذه الهدية؟"

وازداد ضغط أصابعه حتى أصبح لا يحتمل· وانتزعت يدها منه· وحاولت أن تدلك موضع الالم، في حين استمر هو قائلا:

"لا تخبرينني، أفضل الا أعرف·"

واستدارت تبعده قائلة:

"فكر بما شئت· فأنت حر·"

وحل عصر الاحد، وجلست كاترين أمام المدفأة تقرأ· كانت قد أعدت لنفسها فنجان شاي مع بعض البسكويت ريثما يحل موعد العشاء مع فرنسيس· وتساءلت عن المكان الذي سيصطحبها اليه· ربما يكون ذلك المطعم الصغير الهادىء في أحد الشوارع الجانبية حيث احتفلا بخطبتهما·

وأخذت حماما سريعا· ثم ارتدت ملابسها، واستعملت أدوات التجميل بعناية زائدة· وهمست لنفسها بأنه عيد ميلادها· وأن عليها أن تحاول رفع معنوياتها في هذه المناسبة مهما كانت حقيقة مشاعرها·

واختارت من خزانة ملابسها ثوبا من الصوف الناعم الوردي الداكن الذي أبرز لون بشرتها الناصعة، وأظهر جمال قدها الصغير· وفي طريقها الى محطة الاتوبيس داعبت الرياح ساقيها، فرفعت فراء الياقة الى وجنتيها، وتمنت الا تفسد الرياح تصفيفة شعرها·

وسارت عبر الممر في اتجاه شقة فرنسيس، وضغطت على الجرس وانتظرت خائفة·

وفتح الباب، وظهر رجل طويل القامة أشقر الشعر،

تأملها بنظرات الدهشة والاهتمام، وسأل:
"نعم؟"
"السيد روتلاند موجود؟"
"من الذي يسأل عنه؟"
"كاترين سويل."
وأحست بتردد وحيرة لهذا الاستقبال البارد. لكن قسمات وجه الشاب ما لبث أن تبدلت وقال:
"إنك لست ولا يمكن أن تكوني خطيبة أبي؟"
"إنني آسفة، ولكن أنا هي."
وفتح الباب على مصراعيه، وقال:
"ادخلي، إني ماكس، ابنه. بالتأكيد أخبرك عني؟ أم تراه يعتبرني هيكلا عظميا في خزانته؟"
وضحكت كاترين وهي تخطو داخل غرفة الاستقبال الدافئة، بينما مد ماكس يده قائلا:
"لنبدأ بالتحية. اذ لا يحدث كل يوم أن يلتقي الواحد بمن ستكون زوجة أبيه. ما اريد أن أقوله هو أنك أذهلتني بصراحة. إن لأبي ذوقا أرفع مما كنت أظن."
"شكرا لهذه الكلمات الطيبة."
"أعطني معطفك وتصرفي كما لو كنت في بيتك. سأدعو أبي. إنه في غرفته."
وعاد ماكس يتأملها من جديد وهو يقدم لها كأس المرطبات، وقال:
"تعرفين، لا يمكن أن تكوني أكبر مني بيوم. هل أستطيع أن أستفسر عن عمرك، أم أن هذا لا يجوز؟"
"اليوم عيد ميلادي السابع والعشرين."
"يا للصدفة العجيبة! إن عيد ميلادي السابع والعشرين يوم الثلاثاء."
"إذن أنا أكبرك بيومين وليس بيوم واحد."

وضحكت كاترين، وأدركت أنها ستحب ابن زوجها كثيرا، وسألته مبتسمة:
"هل أنت في اجازة؟"
"كلا، إنني سأستقر هنا لمدة شهرين أو ثلاثة. فقد توقف تجوالي حول العالم مؤقتا."
"أخبرني والدك أنك مهندس كيميائي."
"أجل، مهندس متجول. إنني أفضل الحياة على هذا النحو. ليتني لم أكن قد ارتبطت بموعد هذا المساء، ولا كنت أفسدت عليكما خلوتكما بالانضمام اليكما."
وظهر الاب على عتبة الباب وقال:
"من حسن الحظ أنك ارتبطت يا ولدي!"
"تهاني يا أبي على اختيارك لخطيبتك. ما كنت أنا نفسي أستطيع أن أختار أفضل منها."
وقالت كاترين وهي تقف:
"مديحك أخجلني. هل ستخرج يا فرنسيس؟"
"نعم يا عزيزتي. إنك تبدين ساحرة، جديرة بأفضل فندق في المدينة خاصة وأننا سنحتفل بعيد ميلادك. ماكس، أحضر معطف كاترين."
وأمسك ماكس بالمعطف ليعاونها على ارتدائه، ثم ترك يدها على مضض وهو يودعها وقال:
"سنلتقي دون شك ثانية يا زوجة أبي، هذا وعد."
شقت سيارة فرنسيس الكبيرة طريقها وسط الزحام، وكانت الامطار تهطل بغزارة، وقال فرنسيس:
"حينما نصل يا عزيزتي الى الكونتيننتال.."
"هل هذا هو المكان الذي نقصده يا فرنسيس؟"
"نعم، هل سبق لك وذهبت الى هناك؟ لقد فكرت أنها ستكون مفاجأة لطيفة. إنه فندق ممتاز."
"لا أشك في ذلك يا فرنسيس."

"حينما نصل، هل تتفضلين بانتظاري في المدخل حتى أضع سيارتي في الكاراج؟"

"نعم، بالطبع. لن تتأخر، أليس كذلك؟"

ونزلت كاترين بسرعة من السيارة، ومرت من الابواب المتحركة. ولم يلبث فرنسيس أن لحق بها. وأخذ المعطفين الى غرفة الملابس، ووجهها الى مائدة محجوزة في وسط غرفة الطعام تقريبا. وغاصت قدماها في السجاجيد الناعمة، وبهرت بالأضواء اللامعة وبفخامة المنظر أمامها. وجلسا وأخذا في مراجعة قائمة الطعام. وأحست كاترين أنها لا تجرؤ على رفع عينيها، ففي مكان ما من هذه الغرفة كان جون وجيف.

وبعد أن اختارا أصناف الطعام، نظرت كاترين حولها وتسمرت عيناها. من؟ فقد رأتهما. ورفع جيف يده ملوحا، أما جون، فأدار في اتجاهها وجها عبوسا، ثم أشاح به بعيدا عنهما.

أثناء الطعام تحدثت كاترين بمرح مع خطيبها. وكان من الواضح أنه مفتون بها، فمسح على شعره الرمادي، ولمع نظارته، وأحكم رباط عنقه. وأوحى بذلك لكل شخص أنه سعيد لأن هذه الشابة الجميلة الجالسة قبالته ردت له بعض شبابه. كان مزهوا بجمالها، وبذكائها. وقبل كل شيء بأنها وافقت على أن تصبح زوجته.

"أرجو ألا يضايقك ذلك يا فرنسيس، ولكنني وافقت على التمثيل في مسرحية الطلبة."

"لا اعتراض لي بالطبع يا كاترين، سيكون من دواعي سروري أن أراك على خشبة المسرح. هل هو دور كبير؟"

"إنه دور البطلة. ولكن أظرف ما في الأمر أنهم طلبوا مني البحث عن البطل الذي سيمثل أمامي."

"طرأت الآن فكرة لا بأس بها. لقد كان ابني ماكس

ممثلا هاويا متحمسا. أتعرفين أنه قد يقتنع بأداء الدور، خاصة عندما يعرف من ستقوم بالدور الرئيسي أمامه."

وتحمست كاترين للاقتراح. فقد كان ماكس البطل المطلوب. إنه طويل ووسيم وظريف. فقالت:

"هل يمكن أن تسأله يا فرنسيس. ربما يستطيع أن يتصل بي هاتفيا وأن يطلعني على رأيه."

"بالتأكيد يا عزيزتي، وهذا ينقلني الى أمر آخر. هل تذكرين البيت الذي حدثنا عنه الزوجان كريسويل؟ لقد عاد الى السوق لأن الزوجين اللذين كانا شغوفين به فشلا في الحصول على مبلغ لشرائه. هل تحبين التفرج عليه؟"

"أنا أعرف أن الدكتور رايت سيذهب الى قسم التربية صباح الاربعاء، ويستطيع في طريقه أن يأخذني معه لألقي نظرة سريعة على البيت، هذا إذا كنت لا تمانع.."

"انها فكرة ممتازة، تستطيعين إخباره أن لديه اذنا مني باصطحابك. وهو يستطيع في الواقع أن يستعمل سيارتي حتى يوفر الوقود على نفسه."

"سأرى ماذا يقول."

ونظرت بذعر عبر الغرفة ناحية زوجها السابق، الذي كان يرمقها من جديد عابسا.

واستلقى فرنسيس في مقعده ليتيح لجسده الممتلىء وضعا مريحا. وبدا أنه يعاني قليلا من الافراط في الاكل. ونظر حواليه للمرة الاولى، ولمح جون وضيفه وانحنى فوق المائدة، وربت على يد كاترين وقال:

"أليس ذلك هو الدكتور رايت، ومعه شقيقك؟"

ونظرت كاترين الى حيث أشار خطيبها، واستقرت عيناها في دهشة مصطنعة على الرجلين اللذين كانا مستغرقين في الحديث، وقال:

"أخبرني جيف أنه سيأتي الى هنا هذا المساء. الظاهر

أن الدكتور رايت يقيم هنا، وقد دعا أخي للعشاء معه."
"لم أكن أعلم أن كلا منهما يعرف الآخر."
"كانا يلعبان معا الشطرنج منذ سنين. كلاهما من المتحمسين للشطرنج."
"يجب أن أتحداهما في اللعب في يوم ما. فقد كان الشطرنج هوايتي المفضلة."
وبدا حائرا بعض الشيء ثم قال:
"إذا كان أخوك يعرف جون، فلا بد أنك أنت أيضا تعرفينه."
"لقد كنت ... صديقة لأخته."
"فهمت .."
ثم غير موضوع الحديث، وقال:
"سامحيني على ذكر ذلك الآن يا عزيزتي، ولكن لقد نقل الي عن طريق سكرتيرتي، انك بصفتك سكرتيرة الدكتور رايت، تشطبين التعليمات المكتوبة على أوراق الكلية التي تنص على أن تكون جميع المراسلات معنونة باسمي باعتباري العميد. هل يمكنك تفسير ذلك؟"
وبوغتت كاترين تماما، وحتى تعطي نفسها فرصة، وتظاهرت بالبراءة .. ثم صاحت:
"بالطبع، الآن عرفت ما كنت تتحدث عنه. أخبرني الدكتور رايت أن الجانب الاداري في مجال الصناعة التي تركها لتوه، يجري بطريقة مختلفة تماما عنه في مجال التعليم، وهو يعتقد، بالنسبة للتعليمات التي لدينا أن من شأنها تعقيد الأمور، ولم يكن يعتقد أن في ذلك ما يضايقك."
"فهمت، سأكون ممتنا لو أخبرته أنني أريد وقف ذلك، لكيلا يصبح بادرة غير محمودة."
"سأفعل ذلك."
"شيء آخر يا عزيزتي، أذكر أن الدكتور رايت ذكر في يوم تعيينه رئيسا للقسم أنه مرتبط بحضور مؤتمر في

دربيساير في نهاية الفصل الدراسي، والظاهر أنه واحد من المنظمين وقد اختير لذلك أثناء عمله السابق."
"لم يذكر لي شيئا من ذلك."
"سيفعل دون شك. وبما ان موضوع المؤتمر يهمني كثيرا، فهل تستطيعين إقناعه بالحصول على تذكرة لي لحضوره؟ وإذا شئت مرافقتي، اطلبي منه واحدة لك أيضا."
"ولكن أية اهتمامات يمكن أن تكون لي بمثل هذا المؤتمر؟"
وربت على يدها، وقال:
"سيسعدني أن ترافقيني، وسيكون ذلك فرصة لك للراحة وسبب فرحة لي. ويمكنك أن تذهبي كزائرة بوصفك سكرتيرته."
وابتسم فرنسيس وقال:
"هل تفعلين ذلك من أجلي يا كاترين؟ سأكون في غاية الامتنان، يا عزيزتي."
وأرادت أن تقول له: اطلب منه هذه الخدمات بنفسك. هل تخشاه حتى تستغلني كوسيطة بينكما؟ لكنها لجمت مشاعرها وقالت:
"سأفعل ما أستطيع."
بماذا ستشعر عندما تقوم بعرض قضية خطيبها أمام الرجل الذي كانت هي أيضا تخشاه؟ إنها لم تستطع أن تتخيل المشهد من الآن.

٤- بداية التحول

كان جيف يتناول فطوره حينما دخلت كاترين المطبخ، وقالت:

"هل استمتعت بوقتك أمس؟"

"كانت سهرة رائعة بالنسبة اليك أيضا. كان أي شخص يستطيع أن يرى وأن يسمع .."

"ماذا تقصد؟"

"أنت والكهل المتصابي أحدثتما من الجلبة ما فيه الكفاية. إنني أحذرك يا كات. جون كان غاضبا! لأنك اصطحبت الكهل المتصابي الى الكونتيننتال، لماذا فعلت ذلك؟"

"العكس هو الصحيح - اصطحبني فرنسيس الى هناك كمفاجأة سارة. تذكر أنه كان عيد ميلادي، أم أنك نسيت؟ على أي حال، مع أي جانب تقف؟ هل سمم جون أفكارك؟"

"لا تكوني سخيفة. كان يجب عليك أن تختاري مكانا آخر."

"أؤكد لك أنه لو كان لي الخيار، لذهبت الى أبعد مكان كيلا أرى جون."

ولاعتقاد كاترين أن الهجوم هو أفضل وسائل الدفاع، فقد دخلت مكتبها وخلعت معطفها، وطرقت بحدة على باب رئيس القسم ودخلت. وكان واضحا أنه فوجئ بها، ورفع

حاجبيه وقال:
"أنا لم أطلبك."
"فهمت أنك غضبت، كما قال أخي لأنني تناولت العشاء ليلة أمس في فندقك."
"هذا غير صحيح. فانا لم أحس بوجودك اطلاقا."
"أظن أنك اعتقدت أنني فعلت ذلك عن قصد."
"ليس لدي أدنى شك في ذلك. لأنك أخفقت في الحصول على دعوة مني، فقد أقنعت خطيبك باصطحابك الى هناك."
ونظر الى ساعته وقال:
"علي أن أنجز عملا الآن."
تجاهلت ملاحظته واستمرت تقول:
"أظن أنك تعتقد أنني فعلت ذلك لمجرد مضايقتك."
"أنا متأكد تماما من أنك فعلت ذلك لمجرد مضايقتي."
"إذا كان ذلك الاعتقاد يرضيك، فقد فعلت ذلك لمضايقتك. في الواقع أنا أفعل كل شيء لمضايقتك. أنا آكل وأشرب وأتنفس لمضايقتك. بل إنني على استعداد لأن أموت كي أضايقك لمجرد حرمانك من خدماتي كسرتيرتك."
وبكت. وتنهد من جديد، وتراجع الى الوراء في مقعده وقال:
"هل انتهيت من تمثيليتك الصبيانية؟ كان عليك أن تحتفظي بقدراتك التمثيلية للمسرح. اسمعي، أنا مجرد عالم حسابات جامد، والعاطفة بالنسبة الي طارىء مثير للسخط في الحياة، لذلك لا تعتقدي أنني أهتز في كل مرة تستعملين فيها دموعك."
"أنت لست منطقيا، أنت متحامل وأعمى، وجامد مثل .. مثل حجر الغرانيت."
وشرقت بدموعها، وأخذت تبحث عن منديل وأخرج هو من جيبه منديلا نظيفا مطويا، وقال وهو يناولها إياه:

"أعتقد أن هذا هو المطلوب، أن تستعملي منديلي؟"
وانتظر بصبر حتى هدأت وجففت دموعها، وتمتمت بعد دقائق وقد مسحت الدموع من عينيها:
"إنني آسفة."
"الآن، وقد عرفت رأيك في، هل نستطيع من فضلك أن نقوم ببعض العمل؟"
وبلطف شديد وضعت منديله في جيبها، وقالت:
"سأغسله ثم أعيده اليك."
"لا داعي، لدي الكثير."
وتناولت مفكرتها. وبدأ يعملان.
وكانت مشغولة بالضرب على الآلة الكاتبة عندما رن الهاتف الداخلي.
"كات؟ هذه جيل - كيف كان أمسك؟"
"لحظة، يا جيل."
ونهضت كاترين، واختلست نظرة داخل حجرة جون، كان لا يزال متغيبا في اجتماع رؤساء الأقسام، وعادت لتمسك بالسماعة وتقول:
"كان عيدا لطيفا للغاية، شكرا لك. نعم، تلقيت بعض البطاقات. بالمناسبة شكرا على بطاقتك. تلقيت كذلك أزهارا رائعة من فرنسيس .. وبالطبع الساعة، جيف وهيلين أهدياني سترة صوفية بديعة واصطحبني فرنسيس الى الكونتيننتال، إنه فندق رائع يا جيل. كانت مفاجأة تماما. فأنا لم أذهب الى هناك أبدا، يجب أن تجدي صديقا ثريا ليصطحبك الى هناك ذات يوم."
وضحكا معا، واستمرت كاترين تقول:
"قابلت صدفة ابن فرنسيس. أجل، لديه ابن واحد، طويل وأشقر ووسيم، وناعم. ولو لم يكن ابن خطيبي، لكان يمكن أن أفتن به، كلا إنني امزح فقط. يجب أن أعود الى

العمل الآن، أراك في وقت آخر."
وعادت الى العمل، لكن الهاتف قاطعها من جديد، وارتفع صوت جون آمرا:
"هل لك أن تحضري؟"
"ماذا تريد؟"
"هل يمكنك أن تتأكدي عندما تكون لديك محادثة شخصية، من أن باب مكتبي محكم الاغلاق؟"
"اعتقدت أنه مغلق وعلى أي حال إنك لم تكن موجودا."
"لم أكن موجودا، لكنني عدت."
"لو كنت أردت أن أعرفك بما قلت، لأخبرتك بذلك صراحة."
"هناك طرق أكثر براعة وتأثيرا لاشعار الرجل بأنه حقير، من اخباره بذلك في وجهه."
وابتعدت نظراته عن نظراتها، وقال:
"انني آسف لانني نسيت عيد ميلادك."
"لا عليك، لم أتوقع منك أن تتذكر."
وانصرفت دون أن ترى غمامة الالم التي خيمت على وجهه.
بعد الغذاء، كان جون يدرس بعض الاوراق تفحصت وجهه الجاد الذي يوحي بالتصميم -وتذكرت كيف اعتادت أن تداعب بأصبعها خطوط وجهه. وتقلصت يداه وهي تحاول أن تسيطر على ومضة الحنان في عينيها.
وارتفع رنين الهاتف فرد جون:
"تريد آنسة سويل؟"
واستقرت عيناه على رأسها المنحني وسأل:
"من المتكلم؟ ماكس؟"
وناولها السماعة قائلا:
"شخص يدعى ماكس."
"هل آخذ المكالمة هنا أم في مكتبي؟"
"تحدثي مع صديقك، لاتقلقي بشأني."

"مرحبا، يا ماكس، أجل لقد أزعجتنا بالفعل."
وانساب صوت ماكس في أذنيها ناعما، قال:
"اسمعي يا زوجة أبي اللطيفة. أخبرني أبي أنك مهتمة بالبحث عن بطل، هل هذا صحيح؟"
"صحيح تماما. إن الطلبة كانوا يبحثون عن رجل طويل وسيم للقيام بالدور الأول في المسرحية التي يعدونها. هل تصلح لذلك؟"
"يا سيدتي الغالية، إنني أكثر من مجرد ذلك. إنني أملك كل ما يريدون وأكثر."
وضحكت من جديد .. وقالت:
"حسنا، بصرف النظر عن هذه النفخة الكاذبة هل يمكنك مساعدتهم؟ من تكون البطلة؟ أنا هي. وبالمصادفة، لقد حذروني من أنه سيكون هناك بعض المواقف الحميمة، فهل يزعجك هذا؟"
وبدأت تتنبه الى حركة ارتباك في الطرف الآخر من المكتب. واندفع ماكس قائلا:
"يزعجني؟ يا فتاتي العزيزة. الآن وقد عرفت ذلك فإن أحدا لا يستطيع أن يمنعني من قبول الدور. اسمعي، دعينا نتقابل على الغذاء غدا لمناقشة الموضوع. سأمر عليك في الكلية. ما هي ساعة الغذاء عندكم؟"
وأخبرته فانيرى قائلا:
"حسنا، الثانية عشرة والنصف بالضبط. ارتدي ملابس جميلة وسأصطحبك الى مكان جميل، أين تقترحين؟"
وعاد جون في ضجة، وسمعته يتمتم:
"ما زلت تتحدثين؟"
وردت على ماكس قائلة:
"هل فندق الكونتيننتال يفوق امكاناتك؟ أحببت المكان كثيرا ليلة أمس. إنه يفسد علي متعة الذهاب الى أي مكان آخر."

"بما أنه عيد ميلادي، فاننا سنذهب الى الكونتيننتال. أراك غدا."

ووضعت السماعة، ولثالث مرة في ذلك اليوم قالت لجون:

"أنا آسفة."

"لا تعتذري كثيرا. إن ذلك يثير الملل."

وارتفع رنين الهاتف الداخلي، واشتد بريق عينيه وهو يرد قائلا:

"آه، أنيت. أجل، حاولت الاتصال بك مبكرا. اسمعي يا عزيزتي، هل يمكنك العشاء معي هذا المساء في فندقي؟"

وجلس مشيرا لكاترين بالانصراف، وقال:

"العشاء في الثامنة، سأمر عليك."

تأملت كاترين وجهها في مرآة غرفة حفظ الملابس، واستعملت المزيد من أحمر الشفاه. وشعرت بالرضا. لقد طلب منها ماكس أن ترتدي ملابس أنيقة، وتمنت ألا تخذله. وعادت الى مكتبها، وبينما كانت في انتظار موعد اللقاء، أخذت في انجاز بعض الاعمال.

سمعت طرقا خفيفا على بابها، وأسرعت تفتحه لترى ماكس أمامها يقول بعد أن تفحص الثوب الرائع الذي ارتدته:

"جعلتني أشعر بالزهو يا زوجة أبي."

"أنت أيضا تبدو أنيقا."

ولمست الوردة البيضاء في عروة سترته، وفي الوقت نفسه قدم لها باقة صغيرة من الازهار الزكية كان يخفيها وراء ظهره، وقالت كاترين:

"إنها رائعة يا ماكس."

"أعطيني دبوسا كي أثبتها لك في سترتك."

وارتفع صوت من ورائها يقول:

"قبل أن تذهبي للغداء يا آنسة سويل .."

وسكت الصوت فجأة، ولم تكن تستطيع أن تستدير

لأن ماكس لم يكن قد انتهى بعد من تثبيت الأزهار، وسألت:

"نعم يا دكتور رايت؟"

"أرى أنك مشغولة. الامر يمكن تأجيله."

واعتدل ماكس في وقفته وتأملها قائلا:

"أزهار جميلة لتزيد من سحر امرأة جميلة."

"ماكس، هذا هو الدكتور رايت، رئيس قسم العلوم. دكتور رايت، هل أستطيع أن أقدم لك ماكس روتلاند، ابن خطيبي؟"

وقال ماكس بصوت مفرط التهذيب قبل أن يستدير مبتعدا:

"كيف حالك؟"

وأحست كاترين بسرعة أن كلا من الرجلين شعر في الحال بكراهية نحو الآخر. وقال ماكس متطلعا الى جون:

"ربما أننا سنتغذى معا احتفالا بعيد ميلادي، فهل من الممكن أن تأخذي فرصة أطول. لقد طلبت إذن أبي في ذلك وأعطاني إياه سريعا."

ولم تجرؤ كاترين على مواجهة عيني جون وهي تسأله:

"هل توافق يا دكتور رايت؟"

"هل يمكن أن أعرف المدة؟"

وقال ماكس موجها الكلام الى كاترين وليس الى جون:

"نصف ساعة أو نحو ذلك."

"في هذه المناسبة، لا أستطيع الرفض."

وبلهجة تهكمية قال جون:

"تذكري فقط يا آنسة سويل أنني ذاهب الى اجتماع بعد ظهر اليوم، وأرجو أن يسمح وجودك بانجاز بعض العمل قبل ذهابي."

وفي طريقهما الى الاوتيل انفجر ماكس قائلا:

"هل هذا هو الانسان الذي تعملين معه؟ كيف تسمحين له بمخاطبتك بهذه الطريقة؟"

وأوقفها دافيد هيكلي مناديا:
"آنسة سويل، هل وفقت في العثور على البطل؟"
"نعم يا دافيد، أقدم لك السيد ماكس روتلاند، ابن العميد، إنه ممثل هاو ذو خبرة، وهو يرحب بالقيام بالدور."
وظهر الارتياح على دافيد وقال:
"ستقوم بالدور يا سيدي؟ أنت والآنسة سويل معا ستؤمنان النجاح لمسرحيتنا."
واستدار نحو زملائه الذين كانوا قد انضموا اليه وقال:
"ألستم معي في ذلك؟"
ووافقوا بحماسة وسأل أحدهم كاترين:
"هل أنتما الاثنان. هل هو خطيبك؟"
"كلا."
ونظرت اليه وسألته:
"من تكون يا ماكس؟"
وضغط على كتفها، ونظر في وجهها وقال:
"دعينا نقل إننا صديقان حميمان. والآن، أعتقد أيها الرفاق أن ذلك سيثير أقاويلكم، أليس كذلك؟"
وضحكوا جميعا، لكن مرحهم تلاشى لدى سماع صوت يقول:
"هل تسمحون بالتحرك لكي أستطيع المرور؟"
وعلى مضض حرك ماكس كاترين جانبا ومر جون وتخطاهم.
أدارت كاترين كأس الشراب الفارغة بين أصابعها. وأحست على غير عادة بالسرور. كانت قد استمتعت بطعام لذيذ، وكان ماكس رفيقا ممتازا. وبدت متاعبها وكأنها ذهبت بعيدا، حتى النظرة التي رماها بها جون وهو يمر بهم في الدهليز، حاولت أن تنساها.
عندما فتحت باب غرفة مكتبها، كانت لا تزال تشعر بأنها قادرة على مواجهة ثلاثة من أمثال جون رايت -

ووضعت الشوكولاته الكبيرة التي كان ماكس قد أعطاها إياها بدلا من هدية لعيد ميلادها، وكانت قد تركت رفيقها في بهو المدخل بعدما قال لها:
"أرفض الذهاب أبعد من ذلك، خشية أن يلتهمني رئيسك."
واتفقا على أن يتقابلا في أول بروفة للمسرحية التي أخذت كاترين على عاتقها مهمة اطلاعه على موعدها.
وطرقت بجرأة باب غرفة رئيس القسم الذي استقبلها قائلا:
"إذن فقد رجعت."
تأمل وجنتيها المحتقنتين، وعينيها اللامعتين وقال:
"أعتقد أنك متعبة بعض الشيء. الظاهر أنك استمتعت بوقتك مع ابن زوجك."
"كان وقتا رائعا: الطعام كان فاخرا، وكذلك الشراب."
واستدارت لتذهب الى مكتبها، لكنه رفع يده وقال:
"تعالي الى هنا."
ونهض ومشى نحو مكتبه، واتكأ عليه بكلتا يديه، ثم تطلع اليها وقال:
"الآن وقد روحت عن نفسك يا آنسة سويل. جاء دوري لأنصحك وأقول إن هذا الرجل زير نساء. انه أبعد من أن يكون صادقا. إنه صياد، وفي رأيي لا يمكن ائتمانه مع الجنس الآخر. غير اني لمعرفتي بحماقاتك، أظن أن ذلك في الغالب سوف يزيد من اهتمامك به."
"حتى ألقي في وجهك، يا دكتور رايت، الكلمات نفسها التي استعملتها في حديثك عني مع أخي، أقول انني لو لم أكن أعرف أنك تكره الأرض التي أسير عليها، لقلت إنك تعاني من الغيرة."
وأحست بالرضا الشديد عندما رأته وقد استبد به الغضب وامتدت يده فوق مكتبه بحثا عن شيء يقذفها به.

وأمسكت أصابعه بكتاب. وحينما رفعه وهم بإلقائه، ضحكت في وجهه وانطلقت بسرعة خارجة من الغرفة.

بعد فترة استدعى جون سكرتيرته وقال:

"هل استعدت وعيك؟"

"إنني آسفة على ذلك."

"وجدتك مسلية للغاية بعد أن تلاشى تحفظك وزالت عنك الحواجز .. على أي حال، لا تجعلي ذلك يحدث مرة أخرى أثناء ساعات العمل."

وابتسم، وأخرج علبة سكاير من جيبه، وبدأ في اشعال واحدة. وذهلت كاترين، وقالت:

"هل تدخن يا دكتور رايت؟ لم أعهدك كذلك."

"نعم، أنا أدخن. بدأت منذ فترة طويلة بعد أن انفصلنا. ثم امتنعت، والآن بدأت من جديد."

"التدخين يؤذي صحتك."

"إنني مسرور لعلمي أنك ما زلت مهتمة بصحتي."

وأخرج العلبة من جديد، وقدمها اليها قائلا:

"هل تجربين واحدة؟"

"كلا، شكرا."

"ألا أستطيع إفسادك؟"

ردت دون تفكير:

"إنني غير قابلة للافساد."

"ماضيك لا يدل على ذلك."

وتلاشت ابتسامتها وفكرت في حزن. وكانت عيناه لا تزالان في عينيها، قال:

"ألم يحن الوقت لأن نتحول عن المواضيع الشخصية، وننصرف الى العمل؟"

وأملى عليها بعض الرسائل ثم أطفأ سيكارته وقال:

"هذا كل ما أردت يا آنسة سويل."

لكنها بقيت في مكانها .. وقالت:

"هل تسمح لي يا دكتور رايت لأنقل اليك رسالة من العميد؟"

"لا مانع."

"أخبرني فرنسيس أنه علم أنني أشطب الكلمات المكتوبة على ركن الرسالة والتي تنص على توجيه الاجوبة الى العميد. وطلب مني أن أخبرك أنه لا يوافق على ذلك."

وتطاير الشرر من عينيه وقال:

"ومن الذي لفته الى ذلك؟ كلا، لا تخبريني، أستطيع التخمين. أنت!"

وشحب وجهها وقالت:

"دكتور رايت، إذا كان عدم ثقتك بي كامرأة يؤثر على ثقتك بي كسكرتيرة، فقد حان الوقت لأبحث لنفسي عن وظيفة أخرى."

"كلا، لا تفعلي ذلك. اهدئي، إذا كنت ظالما فإني أعتذر."

وطوقها بذراعيه لكنها ابتعدت بحركة لا شعورية. وحدق فيها وهتف:

"يا إلهي، هل أفزعتك؟" .. لم ألاحظ أنك اعترضت على ابن العميد عندما فعل ذلك."

لم ترد فسألها:

"هل هناك شيء آخر؟"

"أجل .."

وطال ترددها، فقال بابتسامة متكلفة:

"هل أنت خائفة؟"

"نعم."

نظر اليها ورأى بنفسه الخوف على وجهها، ورفع يديه الى رأسه وقال:

"هذا كثير على اتجاهي العلمي. إني آسف، سأحاول أن أمسك أعصابي. ولكن لتشهد السماء أن ذلك في جميع

الحالات صعب، صعب للغاية."
"لقد ذكر العميد أنك واحد من منظمي ال ..
"المؤتمر الذي يحظى باهتمامه. نعم، أعرف إنه يطلب أن أحجز له تذكرة. أليس كذلك؟"
"نعم وهو يريد أن أذهب معه."
"أنت؟ ما الذي يهمك من المؤتمر؟"
هزت رأسها ولمح الدموع في عينيها فرفع يده قائلا:
"رحمة بأعصابي، لا تتركي العنان لدموعك من جديد. لا أستطيع تحمل ذلك. على أي حال لم تعد لدي مناديل نظيفة."
عادت الابتسامة الى وجهها، فارتاح جون وقال:
"عندي اجتماع بعد ثلاثين دقيقة. دعي الأمر لي، سأرى ما يمكن أن افعله."
وأضاف:
"أمامي الآن عشرون دقيقة بالضبط لأقرأ بعض الاوراق الوثيقة الصلة بموضوع الاجتماع، ولا أريد أن يزعجني أحد، أهذا مفهوم؟"
"نعم يا دكتور رايت."
وسحب رزمة من الاوراق، وأشار اليها بالخروج من المكتب.
بعد عشر دقائق، فتح باب كاترين وظهرت أنيت وقالت:
"أرجو رؤية الدكتور رايت، هل هو موجود؟"
"إنه هنا، يا آنسة لينتون، لكنه أعطاني أوامر صارمة بألا أسمح لاحد بازعاجه."
"إنه لا يعنيني بذلك. أخبريه فقط أنني هنا."
"ولكن أنا.."
واتجهت أنيت ناحية مكتب جون قائلة:
"حسنا، اذا كنت لا تريدين .."
ودفعت كاترين نفسها بين أنيت والباب وقالت:
"سأخبره."

وطرقت الباب ودخلت. وفي الحال ارتفع رأسه وصاح فيها:
"أنت تعرفين ما قلت. لا تزعجيني، الآن اذهبي."
"إنني آسفة، لكن .."
وظهر رأس أنيت وهي تقول باسمة:
"جون، هذه أنا."
"هذه أنت يا أنيت، تعالي واجلسي."
ونظرت الى كاترين من رأسها الى قدميها، وقالت:
"إن لك سكرتيرة مثل كلب الحراسة. كان علي أن استعمل وسائل حرب العصابات لأتغلب على مقاومتها."
قال جون:
"نعم، انها في بعض الاحيان تكون ذات كفاءة زائدة بعض الشيء."
وصفقت كاترين الباب بعنف ارتجت له النوافذ. وارتاحت لانها فشت خلقها.

٥- المستأجر الجديد

جلست كاترين خائفة في سيارة فرنسيس في انتظار جون، ذلك أنها عندما استجمعت شجاعتها في ذلك الصباح وطلبت منه الخدمة الثالثة للعميد، وهي أن يصطحبها لمشاهدة البيت في طريقه الى قسم التربية، انفجر فيها غاضبا، وقال:

"يبدو أنك ناقشت مرة أخرى شؤون عملي مع خطيبك برغم تحذيري لك منذ البداية بضرورة التزامك بالسرية المطلقة."

وظهر خارجا من باب مدخل الكلية، وألقى بنفسه على المقعد أمام مقود السيارة، وقال بعنف وهو يأخذ منها المفاتيح:

"لو تعلمت القيادة لكنت في استطاعتك الذهاب بنفسك في هذه الآلة المضحكة التي نسميها سيارة."

وبعد أكثر من محاولة انطلقت بهما السيارة متجهة الى الطرف الآخر من المدينة وحين وقفا أمام مكتب قسم التربية جمع جون أوراقه، ونزل دون أن يوجه كلمة الى رفيقته.

وأغمضت كاترين عينيها أثناء غيابه، واسترجعت في نشوة ذكرى أول يوم التقته فيه. كانت مارجوري رايت موظفة الآلة الكاتبة الجديدة، فتاة لطيفة، وقالت لها:

"تعالي معي هذا المساء الى البيت يا كات، لاريك

ثوب وصيفة العروس الذي سارتديه في حفلة زفاف ابنة عمي٠"

واستأذنت مارجوري والدتها في ارتدائه، ثم جاء دور كاث لتجربته ٠٠ وتظاهرت مارجوري بالغيرة وقالت:

"ليس هذا عدلا إنك تبدين فيه أروع مني٠ تعالي لتراك أمي٠"

ونزلتا الى الطابق الاسفل حيث جلست السيدة رايت٠ وقالت كاترين وهي تسير متباهية:

"انظري الي، إنني عارضة أزياء٠"

وفتح باب غرفة الجلوس، وظهر على عتبته شاب طويل داكن العينين جاد المظهر٠ كان من الواضح أنه لا يستطيع أن يرفع عينيه عنها، وقامت مارجوري بالتعارف قائلة:

"كاترين، أقدم اليك أخي جون٠ لقد تخرج حديثا من جامعة أوكسفورد، بعد أن حصل على باكالوريوس العلوم، وهو يتدرب على العمل بالتدريس٠ وإذا كان ذلك يهمك، فانه حاليا ليست له صديقة٠"

وحملق كل منهما في الاخر، وأدركا أنهما وقعا في الحب٠ كان الامر بهذه البساطة ٠٠ وقبل أن تغادر البيت، كان قد رتب معها لقاء مساء اليوم التالي٠ وفي نهاية الاسبوع، كانا قد ارتبطا بالخطبة٠

وفتحت كاترين عينيها حينما سمعت وقع أقدام جون السريعة متجهة نحو السيارة٠ كان لا يزال ثائرا، وقال لها:

"عليك أن ترشديني الى المكان الذي تقصدينه٠ فأنا لا أعرف الجزء الجديد من المدينة، لأنني تغيبت عنها مدة طويلة٠"

وأرشدته بالاستعانة بخريطة للشوارع كان فرنسيس قد أعطاها اياها٠ وبينما كان جون يقف بالسيارة عند حافة الطريق، سألته في تردد:

"هل ستأتي معي؟"

"ماذا؟ أتفرج على بيت تزمع زوجتي السابقة على

المعيشة فيه مع زوجها الثاني؟"

واتخذت كاترين طريقها وسط قطع الحجارة، ووقفت على عتبة البيت الذي لم يكن العمل فيه قد انتهى، ونظرت الى أعلى حيث رأس السلم٠ كان لا يزيد عن كونه سلما متحركا غير ثابت، وقررت الصعود٠ لكنها حينما بلغت قمته، اكتشفت عدم وجود سقف علوي٠ واستدارت بحذر، وبدأت في الهبوط درجة درجة مستندة الى الحائط الخشبي٠

وعندما وصلت الى الطابق الارضي تعثرت قدمها بكومة أحجار والتوت٠ واحست بألم في منطقة الكاحل، وتمايلت وهي تشعر بالدوار٠ ثم أفاقت لتحس بحالة ضعف عام٠ وحاولت السير، لكنها اكتشفت أن القدم لا تحتمل ثقلا٠

وبجهد شديد استطاعت أن تسير حتى الباب متثاقلة ونادت متألمة:

"جون!"

ولم يهتز٠ وحاولت مرة أخرى بصوت أكثر ارتفاعا٠ وظل بلا حراك٠ صاحت:

"دكتور رايت!"

ورد بلا مبالاة:

نعم!"

"إنني آسفة للغاية٠ أصبت في كاحلي٠"

ونزل من السيارة واقترب منها حيث كانت متكئة على السور، وقال:

"ما الذي تريدين مني أن أفعله؟"

"لو عاونتني على الجلوس في مكان ما لمدة دقائق، لتحسنت حالتي٠"

تجهم وجهه، واستطردت هي قائلة:

"كان كاحلي قد أصيب في صغري، وترك ذلك ضعفا مستديما فيه، ويبدو أن هذه الاصابة الجديدة ضاعفت

الاصابة القديمة٠"
ابتسم ساخرا وقال:
"عرفتك في مراهقتك، ولا أتذكر أنك ذكرت أبدا شيئا عن ذلك٠"
"كلا، ربما لم أذكره، لكنك لم تعرف كل شيء عني٠"
ونظر حوله وقال:
"سأرى ما اذا كنت أستطيع العثور على قطعة خشب يمكنك استعمالها كعصاة٠"
"ستكون ذراعك أفضل٠"
لكنه تظاهر بأنه لم يسمعها، وانطلق باحثا عن قطعة خشب مناسبة٠ وكانت هي تفكر في أنه اذا لم يعد سريعا، فانها قد تهوي على الارض من شدة الارهاق٠ ولكنه عاد في الوقت المناسب وناولها قطعة من أخشاب البناء بدت مناسبة تماما، وطلب منها أن تعتمد عليها في السير حتى السيارة، وابتعد٠
وأغمضت عينيها، وتحاملت على نفسها حتى وصلت الى مكان السيارة، ودون أن يمد يدا لمعاونتها، فتح الباب وراقبها وهي تحاول أن تريح نفسها فوق المقعد، وتناول منها قطعة الخشب، وألقى بها بعيدا، واستقل السيارة وانطلق بها٠
وصل أخيرا الى موقف سيارات الكلية وقال:
"أظنك ما زلت تزعمين أنك لا تستطيعين السير دون مساعدة؟"
وكان كاحلها قد ازداد ألمه إذ بدأ يتورم فهزت رأسها وقالت بابتسامة حزينة:
"أخشى ذلك٠"
"سأخبر خطيبك٠ إنها مشكلته وليست مشكلتي٠"
ولم يلبث فرنسيس أن جاء مسرعا من المبنى وقال:
"ماذا حدث يا عزيزتي؟ قال الدكتور رايت أنك تعرضت

لاصابة ما٠"
وعبر وجهه عن الاهتمام الشديد وهي تخبره عما حدث لها ٠٠ فقال:
"ما كان يجب أن أدعك تذهبين وحدك -ولكنني كنت مشغولا للغاية- والآن ماذا نستطيع أن نفعل؟ لقد قال دكتور رايت إنه مرتبط بموعد ولا يستطيع أن يوصلك الى البيت وأنا مشغول مع أحد أعضاء المجلس الاستشاري ٠٠ هل تعتقدين أن أخاك غير مرتبط؟"
"ربما ٠٠ وهو في هذه الحالة لن يمانع في العودة بي الى البيت - أخشى ألا أكون قادرة اليوم على العمل ٠٠ إنني لا أكاد أستطيع السير٠"
"بالطبع يا عزيزتي - ولا تعودي الى العمل حتى تتحسن قدمك تماما - أعتقد أنه من الافضل أن يراك طبيب٠"
وانطلق فرنسيس للبحث عن جيف الذي جاء فورا وقال:
"لدي وقت فراغ لحسن حظك ٠٠ كيف حدث ذلك؟"
وسردت عليه في الطريق ما حدث، دون أن تشير بشيء الى عدم تعاطف جون معها - وعاونها أخوها على الدخول الى البيت، وعلى التمدد فوق الاريكة، ووضع قدمها التي كانت تؤلمها بشدة فوق وسادة - ثم اتصل بالطبيب وقال لأخته:
"سيحضر بأسرع ما يمكن٠"
"هل لك أن تعتني بسيارة فرنسيس؟ أعتقد أن جون سيحطمها لو أتيحت له الفرصة٠"
وضحك جيف قائلا:
"لا تقلقي، سأعيد السيارة العتيقة سالمة الى الكهل المتصابي٠"
جلست كاترين صباح اليوم التالي في غرفة الجلوس تقرأ الصحف وتنتظر أخاها ليصطحبها الى المستشفى المحلي٠ وكانت مرتدية معطفها، وواضعة قدمها المصابة فوق

مقعد. وكان الطبيب قد حضر في اليوم السابق وربط ساقها بالرباط الضاغط وأعطاها أقراصا مسكنة للالم - ونصحها بعمل أشعة بسبب إصابتها القديمة - ورتب زيارتها للمستشفى، وأعطى فرنسيس لجيف الاذن باستعمال سيارته في نقلها الى هناك.

وسمعت وقع أقدام، فطوت الصحيفة، ودون أن تنظر قالت:

"في ميعادك للمرة الاولى ..."

"نعم، في موعدي. أليس كذلك؟"

وأدارت رأسها بسرعة وهتفت:

"جون!"

وحياها مبتسما، وقالت:

"لكنني توقعت جيف."

"تضايقت؟"

"كلا، أقصد، ماذا تفعل هنا؟"

"سأصطحبك الى المستشفى."

ووقف قبالتها، ونظر الى قدمها وقال:

"آسف على سلوكي بالأمس. أكد لي جيف ما قلته عن كاحلك، لا بد وأنك كنت تعانين بعض الألم."

"بالتأكيد، لكنك لم تكن لتصدقني لو أخبرتك."

ونظرت اليه بفضول:

"هل اصطحابك اياي الى المستشفى نوع من التكفير؟"

"يمكنك أن تعتبري الأمر كذلك. والآن كيف سنوصلك الى السيارة؟"

"سيارتك؟"

"أجل، هل سررت لذلك؟"

وأومأت بالايجاب، وأنزلت قدمها أرضا، وحاولت أن تقف. لكنها شعرت بالالم، وقالت:

"جون، أخشى أن أكون محتاجة الى ذراعك، هل يضايقك ذلك؟"

"لا توجد الا طريقة واحدة، سأحملك."

وامتدت ذراعاه ورفعها وقال:

"ضعي ذراعك حول عنقي، حتى يمكنني السير بك."

واحست بخجل بين ذراعي هذا الرجل الذي كان منذ مدة طويلة ولفترة قصيرة زوجها، ونظر في وجهها، وأحست بأنفاسه فوق وجنتيها الورديتين، وقال:

"هذا يعود بي الى سنوات. تماما مثل الايام الماضية. مازلت خفيفة مثل قطعة من الثلج."

وأشاحت عنه بوجهها، فقال بسرعة:

"إنك آمنة تماما معي يا آنسة سويل. فلست أحلم بتحطيم الحواجز بيننا. إنني لا أسلب أبدا رجلا آخر ملكه."

"جون، يجب أن نمضي."

حملها الى سيارته، وأوقفها برقة فوق الارض، وساعدها في الجلوس على المقعد الأمامي. ثم جلس بقربها. وانطلق بالسيارة وحينما وقفا في اشارة المرور الثالثة قالت له:

"هذه سيارة رائعة يا جون."

"الآن وقد أصبحت أملك سيولة مادية أكبر كثيرا من الماضي، تمكنت من شراء سيارة فخمة، والاقامة في أفخر الفنادق. هل ترضين بي من جديد زوجا لك؟"

"وأحست في كلامه التلميح بأن كل ما أصبحت تهتم به في الوقت الحاضر كان حجم رصيده في البنك.

وفجأة انبرى قائلا:

"لا تجيبي، لا أريد أن أعرف."

ووقف في موقف سيارات المستشفى، وتحركت ببطء في اتجاه مدخل العيادة الخارجية. وعضت على شفتيها لتقاوم الألم. وكان هو رفيقا معها وقادها في حجرة الانتظار الى مقعد خال وقال لها:

"اجلسي هنا، سأجري بعض الاتصالات".
ذهب الى مكتب الاستعلامات وقال للموظف:
"أحضرت مريضة لتصوير قدمها".
ناوله الموظف استمارة وقال له:
"دعها تملأ البيانات الموجودة هنا".
ولف ذراعه حول خصرها ليسندها، وجلست على المقعد المجاور للمنضدة، ونظرت اليه وشكرته بابتسامة. وترددت أمام كلمة الاسم طويلا فقال لها:
"إن لقبك هو رايت".
ونظرت اليه فوجدته عابسا واستطرد قائلا:
"ما لم تكوني قد غيرته رسميا وعدت الى لقبك وأنت فتاة سويل؟"
وهزت رأسها بالنفي، فقال:
"إذن لقبك هو رايت. اسمك السيدة كاترين رايت".
وأحست بشيء ما في أعماقها يجعلها مترددة. وقال هو بشيء من الحدة:
"إني آسف إذا كانت مشاركتك لي في الاسم تضايقك الى هذا الحد. ولكن هذا هو القانون. وعلى أي حال لن يدوم ذلك طويلا. فلسوف تتزوجين في المستقبل القريب وتكونين آمنة، أليس كذلك؟"
واحتقن وجهها، وأخذت في إكمال البيانات. وكان هو يراقب كل كلمة تكتبها. وأعاد الاستمارة الى الموظف، وكانت كاترين على وشك أن تطلب من جون أن يتركها ليعود الى عمله، حين ارتفع صوت الممرضة تنادي السيدة رايت. ورد جون قبل أن تتمكن كاترين من أن تجمع شتاتها وترد على اللقب غير المعتاد:
"نعم، هنا".
وسارت كاترين في الدهليز المؤدي الى غرفة

الاشعة بمعاونة جون والممرضة التي قالت وهي تشير ناحية غرفة الانتظار الصغيرة الملحقة بغرفة الأشعة:
و"هل تتفضل بالانتظار هناك يا سيد رايت؟ إن زوجتك لن تبقى طويلا".
"لا داعي لانتظارك يا جون. أستطيع العودة الى البيت في عربة الاسعاف".
"سأنتظر بالطبع، لا يمكن أن أتركك".
واختلست كاترين نظرة نحو وجه جون. لكنه كان خاليا من التعبير.
ومن خارج حجرة الاشعة سمعت كاترين أحدهم يسأل جون عما اذا كان مريضا في انتظار دوره، فأجاب:
"كلا، إنني في انتظار السيدة رايت".
"السيدة التي تتأهب للانصراف. إذا أردت أن تصطحبها فعليك أن تذهب اليها الآن".
ووقف أمام كاترين، وأعطاها ذراعه لتستند اليه، واستدار ناحية الممرضة قائلا:
"أعتقد أن الاشعة ستعرض على الطبيب الذي سيتصل بنا في البيت".
"هذا صحيح يا سيد رايت. وسيتولى طبيبك الخاص علاج زوجتك بمعرفته".
وعادا بسرعة الى البيت، وبلا تردد حملها جون من السيارة حتى الباب الخارجي، وظل ممسكا بها حتى وضعت المفتاح في القفل، ثم حملها الى غرفة الجلوس، ووضعها برقة فوق المقعد، ونظر اليها بعينين لامعتين وسألها:
"هل ستكونين بخير اذا تركتك، كيف ستحصلين على طعامك؟"
"سأتدبر الامر، سأعرج حتى أصل الى المطبخ".
"يجب أن تريحي قدمك، ماذا عن عطلة نهاية الاسبوع؟"

"سيكون جيف موجودا، وستأتي هيلين للمعاونة. هل تعرف هيلين، صديقة جيف؟"

"كلا، ولكن بلا شك سيكون من دواعي سروري أن أتعرف بها."

"شكرا يا جون على كل شيء."

"لا داعي للشكر. والآن حان موعد انصرافي. فإن لدي موعدا للغذاء."

"مع أنيت؟"

"استنتاجك صحيح. ربما تفهمين الآن سبب لهفتي الى الذهاب."

في ذلك المساء أحضر جيف هيلين معه. واعتذرت كاترين عن عدم إعدادها الشاي لأخيها، فقالت هيلين بمرح:

"هذا ما جئت من أجله. سأطعمكما الليلة. وسنتعاون معا يا جيف في غسل الأطباق."

وفي صباح اليوم التالي أخبر الطبيب جيف أن قدم أخته مصابة بالتواء شديد، وإن كان ليس ثمة كسر في العظام، لكن الاصابة القديمة ساعدت في تفاقم المتاعب كما كان متوقعا.

وأحضر جيف غذاء جاهزا لهما معا في اليوم التالي، وكان اليوم هو السبت، وقد وعدت هيلين بالحضور وقت الشاي ومعها الطعام.

وكانت كاترين ممدة فوق المقعد مستغرقة في قراءة المجلة التي أحضرها لها جيف، عندما سمعت جلبة غريبة من الطابق العلوي..

ثم ارتفع صوت جعلها تتجمد : نباح كلب بجانب بابها، وبوضوح سمعت صوتا يحاول تهدئة الحيوان. وصممت كاترين على أن تكتشف ما يحدث. ونادت بصوت مرتفع:

"جيفري، تعال الى هنا في الحال."

"سآتي حالا يا كات."

وبعد عشر دقائق وقفت أقدام عند باب حجرة معيشتها، وسمعت صوت أخيها يقول:

"مع السلامة يا جون. سأراك فيما بعد."

"لن أتأخر. أتمنى لك حظا طيبا."

سألت كاترين أخاها:

"ما الذي كان يجري هنا بالضبط؟"

"عديني بألا تدمري الدنيا فوق رأسي ان أنا أخبرتك."

"كيف أعدك وأنا لا أعرف عم تتكلم؟"

"تعرفين أن عندنا بعض الغرف الخالية في الطابق الاعلى، الغرفة التي أعدت طلاءها ومطبخ وحجرة أخرى. أجرتها لجون."

"ولكن هذا غير ممكن. لا تستطيع أن تدع جون يعيش هنا .."

"لكني أجرت المكان بالفعل، وانتقل جون الى هنا اليوم."

"فعلت كل ذلك دون علمي، مستغلا اصابتي، ومدركا أنني لن أستطيع التدخل."

"آسف، لكننا أدركنا أنك ستعارضين، ولذلك رتبنا كل شيء دون علمك. لقد دفع إيجارا أكبر كثيرا مما كنت أريد. ثم قال إن ذلك سيساعده، حتى يعثر على شقة."

"لكنني سمعت كلبا."

"نعم، إن لديه كلبا جميلا كان في بيت ايواء الكلاب أثناء اقامة جون في الفندق. ولم يكن جون راضيا عن ذلك على الاطلاق. وهكذا نشأت الفكرة كلها."

"ومتى اتفقتما. أعتقد في يوم عيد ميلادي عندما تناولتما العشاء معا؟"

واستدار جيف عندما فتح الباب الخارجي، وقال:

"اهدئي الآن، فقد عاد."

"ذلك لا يهمني. أنا لا أريد مستأجرا. لا أريده هنا ولا كلبه."

وخفضت صوتها قليلا وقالت:

"إنك تعرف يا جيف موقف السيدة كروسبي من الحيوانات - إنها لا تعمل في أي بيت فيه حيوان أليف، ستتركنا يا جيف. إن عليك أن تخبره بأن يدعنا ويذهب."

وقف أخوها بجانب الباب ونادى:

"جون، لا فائدة. لا أستطيع اقناعها بالموافقة."

وغادر الغرفة، تاركا الباب مفتوحا. وبعد لحظات قليلة سمعته يقول:

"دورك يا جون. أرجو لك حظا أفضل من حظي."

ووقف جون على عتبة الباب، ثم دخل، وأغلق الباب خلفه، ونظر اليها. وببطء، نقل المقعد قريبا منها، وجلس على أحد أطرافه، وثنى ذراعه فوق ظهره، وقال:

"فهمت أنك معترضة على وجودي في هذا البيت."

"إن اعتراضي الأساسي هو أنني لم أستشر كمالكة لنصف هذا البيت. كيف أوافق على أن يسمح لك أنت بالذات أن تعيش هنا؟"

"تفعلين ذلك بسبب علاقتي الماضية بك. لكن ذلك كان منذ أعوام."

"ما أقصده هو أننا نعيش حياة بسيطة للغاية - وهذا البيت ليس فخما ولا مريحا."

"لكني عشت هنا من قبل."

"كل شيء تغير. أنت وأحوالك. لقد ارتفع مستواك في الحياة."

"تعنين كما أظن أني ارتفعت، في حين بقيت أنت وأخوك في المستوى نفسه. ولذلك فقد اعتبركما أقل شأنا مني. تعرفين بالتأكيد أنني لست من ذلك النوع الذي يدير ظهره لأصدقائه القدامى. على أي حال، أنا أحب جيف، كان ذلك شأني دائما."

"ماذا عن طعامك؟"

"أستطيع أن أطهو لنفسي. سنوات الوحدة علمتني ذلك."

"وماذا عن .. غسيلك؟"

"أرسل كل شيء الى المغسل."

"والاثاث، ليس لدينا الكثير لنقدمه لك."

"لدي بعض الاثاث المخزون."

وانتصب واقفا وقال:

"بما أنني دفعت حساب الفندق لأغادره، ودفعت حساب اقامتي هنا، وبما أن كل أغراضي نقلت الى هنا، وبما أنني وقعت اتفاق ايجار مع جيف لمدة لا تقل عن اثني عشر شهرا مع مهلة انذار مدتها شهران للطرفين، فإنك مهما قلت الآن لن تستطيعي طردي. آسف."

ووقف عند الباب وقال:

"يبقى أن أؤكد أنني أنا وكلبي سنبتعد عن طريق المالكة الكريمة. ولكن لتتذكر هذه المالكة نفسها أنها هي سكرتيرتي، وأنني باعتباري رئيسها، أملك السيادة في مكان العمل."

وصفق الباب خلفه. وعادت كاترين الى التمدد فوق المقعد، وهي ترتجف من الغضب.

٦- مد وجزر

بعد عشر دقائق دخل جيف غرفة كاترين، وناولها هنجان شاي، وسألها بمرح مصطنع عما اذا كان كل شيء استقر. وابتسم قائلا:

"أخبرني جون أنه أقنعك. وقال إنه اعتاد اقناعك ولا يعتقد أنه فقد ذلك التأثير بمرور السنين."

وقذفته كاترين بوسادة صغيرة تفاداها وهرع لفتح الباب الخارجي وصاح:

"تعالي يا حبيبتي هيلين. لقد وصلت في الوقت المناسب لانقاذي من أختي."

وأطلت هيلين من الباب قائلة:

"هل يمكنني الدخول. كيف حال قدمك؟"

"إنني مسرورة لرؤيتك يا هيلين. سأعود الى حالتي الطبيعية بعد أيام قليلة."

وناولت هيلين جيف كيسا كبيرا فيه مأكولات، فقال:

"إننا جميعا جائعون. هل أحضرت ما يكفي جون أيضا؟ لقد قرر أن يعيش هنا."

ورمق أخته مرتابا، وقال لهيلين:

"تعالي الى المطبخ يا حبيبتي، وسأحكي لك ما حدث.

هل يمكنك أن تساعدينا في اعداد فراشه؟ وجدنا بعض البطاطين."

"جئت من أجل المساعدة يا جيف، وسأرتب له فراشه بالطبع."

ورفع جيف رأسه الى أعلى وقال:

"جون، تعال لتقابل فتاتي."

"بكل سرور، يا جيف. سأنزل بعد لحظة.."

"جاء جون ونظر الى هيلين، وقال جيف:

"جون، هذه صديقتي هيلين براون، وعندما تتحسن أحوالنا المالية، سنشتري الخاتم، أليس كذلك يا حبيبتي؟"

"نعم، يا جيف. مرحبا يا دكتور رايت."

"ناديني جون. فهذا يكفي."

وتحركت عينا جون في اتجاه كاترين، لكنها أدارت رأسها، ونظرت الى هيلين قائلة:

"جميل منك أن تحضري – ستكونين زوجة أخ نافعة."

والتفت ذراع جيف حول خصر هيلين التي نظرت في عينيه قائلة:

"هل سأكون نافعة أيضا كزوجة يا جيف؟"

"لا يمكن أن تكوني غير ذلك."

وتطلع جون الى كاترين وقال:

"إن رؤية هذين العصفورين المحبين تقنعني بأننا نحن الاثنين افتقدنا شيئا في حياتنا – إنني أتساءل عما يشعر به الانسان حينما يكون في حالة حب شديد مثلهما."

استدارت هيلين نحوه في الحال وسألت:

"لماذا، ألم تقع في الحب أبدا يا دكتور رايت، أقصد يا جون؟"

"أنا عرفت الحب منذ سنين عديدة مضت."

"ماذا حدث؟"

"السيدة التي كنت أحبها تخلت عني. نسيت الحديث كله الآن. كانت صغيرة السن في ذلك الوقت، ولم تكن تستقر على رأي."

"أمر مؤسف. إن الحب رائع. لماذا لا تحاولان أنتما الاثنان في وقت ما؟"

"هيلين، أرجوك.."

رفعت هيلين يدها الى فمها وقالت:

"أنا آسفة يا كات، نسيت وجود فرنسيس في حياتك."

وأسرع جيف مقاطعا:

"إنك تتكلمين كثيرا يا هيلين، والآن ماذا عن العمل الذي أتيت من أجله؟"

وما كادا ينصرفان، حتى نظر جون الى الباب، وقال متهكما:

"من الأفضل أن أنصرف بسرعة، والا طار في الهواء شيء أثقل من الوسادة في اتجاهي."

وفي صباح اليوم التالي استيقظت كاترين من النوم متأخرة بعد انصراف الرجلين – ولكن في المساء سمعت طرقا على باب مطبخها:

"سعدت مساء يا آنسة سويل، هل أستطيع الدخول؟"

"نعم."

أغلق جون الباب خلفه وسأل:

"ألم تغفري لي بعد قراري العيش هنا؟"

وابتسمت برقة وقالت:

"غفرت لك."

"يا لك من فتاة طيبة."

"متى ستعودين الى العمل؟"

"في الغالب يوم الاربعاء، لماذا؟ هل تفتقدني؟"

"كلا، افتقدت فقط كفاءتك التي اكتشفت أن لا غنى لي

عنها .. الفتاة التي حلت مكانك لا أدري، جيل، ماذا يمكن اعتبارها واحدة ممن يضرب بهن المثل في الغباء."

"جيل سامرز، انها صديقتي."

وغير مكانه في ركن المطبخ وقال:

"بالمناسبة، لماذا تبكي الفتاة دائما؟ جيل هذه تبدو دموعها طول الوقت على وشك الانهمار، تماما مثلك. هل لك أن تخبريني عن السبب؟"

"إنك بالتأكيد لا تخاطب جيل مثلما تخاطبني؟"

"لم لا، أهناك قانون ضد ذلك؟"

نظرت اليه بحزن وقالت:

"إنك لا تفهم. لقد تغيرت كثيرا."

"استمري، أخبريني كيف .."

"الشاب الذي وقعت في حبه وتزوجته .."

"استمري .."

"كان لطيفا ومراعيا لمشاعر الاخرين."

وساد صمت لفترة طويلة. وحينما تكلم، كان صوته هامسا وناعما:

"دعينا نواجه الحقيقة. لقد ذهب الى الابد، ولن يعود وأنا الذي بقيت فقط."

وفتح الباب وأغلقه خلفه.

التقت كاترين بجون في الصالة صباح الاربعاء، وكان يحمل حقيبة أوراقه. وكانت هي لا تزال ترفع أطباق الفطور:

"إنك مبكر .."

"إنني دائما هكذا. هل أوصلك؟"

"كلا، شكرا."

"لا حاجة للرفض. كما لو كنت أقترح أمرا مشينا."

"أنا أفضل الذهاب في الاتوبيس. أفعل ذلك دائما، وليس ثمة ما يدعوني الى التغيير الآن. وعلى أي حال، لن يبدو

ذلك سليما."

"ماذا تعنين؟"

"إذا وصلنا معا كل صباح، فربما أثرنا بذلك الكلام، ولن يعجب ذلك فرنسيس."

"كما تشائين .. لن أعرض عليك ذلك مرة أخرى."

وقابلت كاترين على سلم الكلية دافيد هيكلي الذي أخبرها أنه تحدد يوم الاثنين التالي موعدا لأول تجربة للمسرحية.

وتسبب ذلك في تأخيرها في الوصول الى مكتبها حيث وجدت جيل تفرز البريد. وقالت الاخيرة:

"كم أنا مسرورة برؤيتك يا كات، سأنصرف تاركة اياك مع عملك."

ثم وضعت اصبعها فوق شفتها وقالت:

"وصل. إنه دائما يصل مبكرا."

وكانت تخبر كاترين بما حدث في العمل أثناء غيابها وهي تجمع معطفها وحقيبة يدها عندما ارتفع رنين الهاتف الداخلي. ورفعت كاترين السماعة وقبل أن تنطق سمعت:

"آنسة سويل، هل لك أن تتكرمي بتأخير تبادل الدعابات التافهة مع صديقتك حتى موعد القهوة، وأن تأتي الى مكتبي فورا. إن لدي عملا ليس لديك مثله."

وتجهم وجه كاترين وهمست جيل:

"هل بدأ لتوه؟ إنني لا أعرف كيف تستطيعين احتماله يا كات. إنه فظيع. سأراك فيما بعد، اذا بقيت حية!"

أخذت كاترين مفكرتها وقلمها وذهبت الى حجرة جون - ودون أن ينظر اليها قال:

"اجلسي، لقد تأخرت في المجيء بما فيه الكفاية."

"كانت جيل تطلعني على سير العمل يا دكتور رايت."

"لا تردي."

وعضت على شفتها. وأحست بالرغبة في البكاء،

لكنها تمالكت نفسها ٠٠ كانت مصممة على ألا تدعه يحطمها٠
وأملى عليها عددا من الرسائل، ثم أشعل سيكارة٠ وسألته بصوت خال من التعبير:
"هل هناك شيء آخر؟"
"نعم، لدي أعمال خاصة بالمؤتمر الذي أعاون في تنظيمه في بكستون٠ واريد أن اعرف اذا كان لا يضايقك البقاء حتى المساء بين الحين والاخر لمساعدتي في ذلك٠ يمكنك أن تتناولي الشاي في المطعم على نفقتي بالطبع٠"
ترددت في الجواب وأربكتها نظراته الحادة وسمعته يقول:
"إذا لم تكوني مستعدة، فسأجد واحدة أخرى٠"
"بالطبع سأساعدك٠"
وقررت أن تذهب الى فرنسيس لاخباره بأنها عادت -ولم يكن مشغولا حينما ذهبت اليه في مكتبه٠ ونهض من مقعده، ومد ذراعيه مرحبا:
"كم هو رائع أن تعودي الى العمل يا عزيزتي٠ هل تحسنت قدمك؟"
"نعم، شكرا٠"
وجلست على المقعد المواجه له وقالت:
"تذكرت أنني لم أحدثك عن البيت بعد٠"
"أظن أنك لا ترغبين في ذكر المكان ثانية بعد إصابتك هناك٠"
"يبدو بيتا لطيفا٠ إنه سيكون كذلك حين الانتهاء منه٠ ولو أعطونا تصميمات للبناء لساعدنا ذلك في الحكم عليه٠"
"سأطلب ذلك من جورج كريويل ٠٠ لا بد أنه يعرف من أين نحصل عليها٠ هل تعتقدين أنه يناسبنا؟"
"أظن أنه سيكون مثاليا لنا - إنه يطل من الخلف على منظر جميل للغابات٠"
"إذن سنفكر فيه بالتأكيد٠"

وتركته كاترين وعادت الى مكتبها٠
وفي ذلك المساء رفعت كاترين مائدة العشاء، وغسلت الاطباق، وارتدت صديريتها الصوف المقلم باللونين الأبيض والتركواز مع بنطلون أبيض٠ وجلست أمام نار المدفأة تشتغل بحياكة الصوف٠
وخفق قلبها عندما سمعت مفتاحا يدور في الباب٠ كانت تعرف أنه ليس جيف، لأن دروسه المسائية لم تكن قد انتهت بعد٠ كان جون بالطبع ٠٠ وسمعته يصعد السلم قفزا٠ وأطلق صفيرا لكلبه الذي انطلق ينبح بانفعال٠
وحبست كاترين أنفاسها حينما سمعت وقع أقدام تهبط السلم، ثم سمعت طرقا على بابها:
"هل أستطيع الدخول؟"
تفحصها بعينيه٠ وبينما كانت تفسح له الطريق ليدخل قال:
"هذه الملابس تناسبك، تجعل الرجل لا يكف عن النظر اليك٠"
"هل هذا ما جئت من أجله؟ لاطرائي؟"
وابتسمت له، راجية أن تستطيع اخفاء ما أحسته من اضطراب٠
وجلس أمام المدفأة على المقعد المواجه لها وسأل:
"تشتغلين صديرية من الصوف لفرنسيس؟"
"كلا، بل أصنع واحدة لنفسي٠"
"أوه، هل تجيدين هذا العمل؟"
"نعم، لماذا؟ هل تحتاج الى واحدة؟"
"نعم٠"
"إذن ما عليك الا أن تطلب من أنيت أن تحيك لك واحدة٠"
ووضعت الشغل جانبا، وقالت:
"هل تريد فنجان شاي؟"
"نعم٠"
وتبعها الى المطبخ، قالت:

"إذا وصلت ابريق الماء بالكهرباء، فسأحضر الفنجانين – هناك الابريق ٠٠ وهناك مكان كبس الكهرباء، وهناك صنبور الماء ٠٠"

قال مبتهجا:

"ما الذي تحاولينه، تأهيلي للزواج؟"

"هل تفكر في الزواج؟"

"ربما، والآن، من التي يمكن أن أفكر في الزواج منها؟"

وأضاف:

"دعيني أرى من هن النساء اللائي أعرفهن في الوقت الحاضر؟ هناك هيلين٠ ولكنها لسوء الحظ من نصيب جيف٠ وهناك جيل، كلا ٠٠ إنها ليست النوع الذي يعجبني، ثم انها تخاف مني بشدة٠"

. ووقفت كاترين تركز باهتمام شديد في البخار المنبعث من ابريق الشاي، في حين قال هو بصوت متكاسل:

"وهناك أنت، أليس كذلك؟"

وأحست به يقترب وكان صوته أشبه بالهمهمة وهو يقول:

"لكننا حاولنا ذلك، ألم نفعل؟"

وارتفعت يداه٠ وداعبت أصابعه بلمسات رقيقة عنقها٠ وكان عليها أن تتحكم في نفسها حتى لا تستدير وتلقي بنفسها بين ذراعيه٠

وأحنى رأسه وقال:

"لكن المحاولة لم تنجح٠"

"كلا، يا جون، انها لم تنجح٠"

وعادا الى الجلوس قرب المدفأة لشرب الشاي٠ ومد جون رجليه، ووضع يديه وراء رأسه، وأخذ يراقبها وقال:

"يذكرني هذا اللقاء بالأوقات الماضية٠ تعرفين، حينما لا تكونين غاضبة، فانت مريحة للغاية٠"

ولم تقل كاترين شيئا، واستمر يقول:

"على نقيض أنيت التي لا يبدو أن فيها عظمة واحدة تعرف الراحة٠"

اندفعت قائلة بحدة:

"ما الذي جئت تراني من أجله؟ بالتأكيد ليس فقط لتردد فضائل أنيت ورذائلها٠"

"رذائل، هذه كلمة أحبها، خصوصا اذا كان الامر يتعلق بامرأة٠"

رفعت نحوه عينين عاصفتين، ورأته في حالة ابتهاج، فقالت:

"هل تستطيع أن تكون جادا؟"

"جئت لاسألك ما اذا كنت تستطيعين القيام بالعمل الاضافي مساء الغد ومساء الجمعة٠"

"أمسيتان؟"

"هناك عمل كثير: تسجيل تفاصيل التنظيم، كتابة رسائل، كتابة الكلمة التي سألقيها، ثم اعادة كتابتها – وفي الواقع قد يحتاج ذلك الى عمل اضافي أكثر في الاسبوع القادم٠ هل يضايقك ذلك؟"

"كلا، لا يضايقني٠ لست مرتبطة الثلاثاء والاربعاء القادمين٠ أما يوم الاثنين فهو موعد أول تجربة للمسرحية٠"

"اغفري لي الاشارة الى موضوع الأجر، لكنني بالتأكيد لا أتوقع أن تقومي بهذا دون مقابل٠"

واحتقن وجهها بشدة وقالت:

"لا تتعمد اهانتي٠"

مال الى الامام وقال بنعومة:

"لماذا٠ هل تقومين به كخدمة؟"

"هذا صحيح، بغير جزاء٠"

وتنهد، وأحست بنظراته فوقها، وقال:

"انظري الي٠"

لكنها ظلت مطرقة، فعاد يقول بحدة:
"كاترين!"

وحينما رفعت أخيرا رأسها، أثارت ضحكتها الشيطانية حنقه، وقال:
"أيتها الصغيرة الوقحة!"

بمجرد أن وصلت كاترين الى مكتبها صباح اليوم التالي، ارتفع رنين الهاتف الداخلي:
"آنسة سميث، سكرتيرة العميد تتكلم. لدي رسالة للدكتور رايت. السيد روتلاند يريد رؤية الدكتور رايت بأسرع ما يمكن لمناقشة بعض الامور معه."
"سأخبره."

دخلت مكتب جون ونقلت اليه الرسال. فقال:
"بدأ مبكرا، متى سأنجز عملي؟"

وترددت كاترين عند الباب، محاولة عبثا التفكير في رد .. ورفع بعض الاوراق، وقال وهو ينصرف:
"حسنا، ان علي أن أذهب."

عاد جون. وطلب كاترين في مكتبه، كان مزاجه سيئا .. وقال:
"ربما أستطيع الآن أن أبدأ عملي."

انتظرت كاترين في صبر وهو يتفحص الرسائل الموضوعة أمامه. وتبينت أنه لا يرى منها حرفا. والتقط الرسائل وألقى بها الواحدة تلو الاخرى، ثم وقف، وسار حتى النافذة، وأطل منها شاردا، ثم استدار قائلا:
"هذا الصباح خضت ما يمكن أن يوصف بأنه مجادلة طويلة مع خطيبك."

وهوى قلب كاترين. لم يكن غريبا أن يتطاحن الرجلان - فقد كان كل شيء فيهما متباينا. الخلفية والمظهر والطبيعة حتى السن.

قال جون:
"إننا لسنا على موجة واحدة. ونظرته لأي شيء مختلفة أساسا عن نظرتي. ولا أدري كيف سنعمل معا؟"

وأضاف بحدة:
"هل تعرفين بصدق ما الذي تفعلينه بزواجك من هذا الرجل؟ ما الذي يحركك؟ هل لأنك مفتونة به كحبيب؟ هل أنت راغبة في مشاركته ثروته؟ ربما تكون الشفقة هي التي تجعلك تضحين ببقية عمرك من أجل رجل يصلح لأن يكون لك أبا."

ولم تستطع كاترين أن تنظر اليه. لم تستطع أن تلتقي عيني الرجل الذي كانت تحبه، لأن طبيعة سؤاله أرغمتها على مواجهة الشكوك والمخاوف التي تساورها، وجعله صمتها يتنبه الى ما قاله لها، واعتذر في الحال قائلا:
"ما كان يجب أبدا أن أتحدث معك على هذا النحو. إنها حياتك. اغفري لي كل ما قلته."

ولم ترد. وراقبته وهو يسند رأسه بين يديه، واشتاقت لأن تريحه بذراعيها. ولمح الحنان في عينيها، وبدا لحظة مغلوبا على أمره، ولكنه لم يلبث أن استرد وعيه وقال:
"هل نبدأ العمل؟"
"إنه وقت القهوة الآن؟"

ونظر في ساعته وقال:
"أنا آسف لأن عليك أن تتخلفي عنه. هل يضايقك ذلك؟"
"كلا، إلا اذا كنت .."

لا تكذبي، يضايقك بالطبع."

وكان يبتسم، وأحست بالراحة تغمرها وقال:
"على أي حال، عليك أن تتخلفي عنه."

وبدأ يملي عليها واستمر في ذلك فترة من الوقت. وتوقف أخيرا وقال:
"سنترك الباقي لبعد الظهر."

وخرج، وجمعت أوراقها وعادت الى مكتبها - وجلست تنظر في تعاسة من النافذة - كانت تعرف أن عليها قبل مضي وقت طويل أن تواجه نفسها وتتخذ قرارا يؤثر على مستقبلها كله. وبدأت تطبع على الآلة الكاتبة، لكن الكلمات أمام عينيها بدت غير واضحة، وتوقفت لتمسح دموعها التي تساقطت فوق الاوراق - وانهمكت بعد ذلك في عملها حتى أنها لم تسمع صوت الباب.

ووقف جون أمامها ممسكا في يده فنجان قهوة يتصاعد منه البخار. ووضعه على المكتب وقال:

"لقد رشوت أحد العاملين في الخدمة ليعد لك فنجانا. لا تقولي أني لا أفكر فيك البتة."

وتعبيرا عن امتنانها أمسكت بيده، وضمتها بقوة. وبدا مبهورا بلمعان عينيها وعادت تقول:

"كم هو لطيف منك يا جون. كيف أستطيع أن أشكرك؟"

وابتسم وضغط على أصابعها بأصابعه .. ونظر الى يديهما المتعانقتين وقال:

"في هذا الشكر ما يكفي."

ثم استدار متجها الى مكتبه.

٧- محاولات يائسة!

انتهت كاترين من عملها في الساعة الخامسة، وحملت حقيبتها، وكانت في طريقها الى الخروج من الغرفة عندما ظهر جون.
"هل أنت ذاهبة لتناول الشاي؟"
أومأت بالايجاب مؤكدة أنها لن تتأخر، فقال:
"سأذهب معك."
دهشت وقالت:
"إن غرفة طعام هيئة التدريس مغلقة، ولذلك فأنا ذاهبة الى مطعم الطلبة."
"أنا أعرف. ولا يضايقني الاختلاط بالطلبة."
ودخلا المطعم، وقالت له:
"هنا أنت تخدم نفسك. عليك أن تأخذ صينية."
"خذي أنت واحدة، وسأضع قهوتي عليها .. فذلك كل ما أريده. سأتناول الطعام فيما بعد في بيت أنيت. إنها طاهية خبيرة كما يجب أن تكون رئيسة الاقتصاد المنزلي."
وفكرت كاترين ثم قالت: أنيت الذكية! إنها تعرف كل الحيل التي تنال بها رجلها. وحمل جون الصينية الى مائدة خالية. وجلسا جنبا الى جنب. ونظر جون حوله وقال:

"المكان هنا جميل للغاية. أعتقد أن بعض الموجودين من طلبة الفترة المسائية. إنهم يبدون أكبر سنا من مجموعة الصباح."
"نعم، إنهم يخرجون من أعمالهم الى هنا. ويتناولون الشاي في المطعم، ثم يذهبون الى الصفوف."
واقتربت مجموعة من الشباب، وجلس أفرادها يضحكون. ونظروا بفضول الى كاترين وجون وقال أحدهم:
"مرحبا يا آنسة سويل. هل رتبت أمورك يوم الاثنين؟"
"نعم، يا دافيد. لم أنس موعد التجربة."
"هل سيأتي بطل المسرحية؟"
"يجب أن أتصل بماكس هاتفيا وأخبره."
"أرجو ألا يكون قد نسي أمر المسرحية. هل تعتقدين أنه سيبر بوعده، ويحضر؟"
وبدا جون قلقا، وأخرج سيكارة. واستمرت كاترين تقول:
"نعم، سيكون موجودا. أخبرني أنه ما علي إلا أن أتصل به ليحضر."
وقفت كاترين وقالت:
"حان وقت انصرافي. سأراك يوم الاثنين يا دافيد. وأطفأ جون سيكارته ولحق بها. وسارا في الدهليز في صمت، واستدارا عند الركن في اتجاه السلم. وارتطم جون بأنيت، وامتدت ذراعاه حول خصرها.
"حبيبي جون، بحثت عنك في كل مكان."
"هاأنذا هنا يا عزيزتي."
"هل ستذهب معي الليلة الى البيت؟"
"بالطبع يا عزيزتي. لكنني قد أتأخر هذا المساء. تعالي وانتظري معي في المكتب."
والتفت ذراعه حول كتفيها. وسارا معا. أما كاترين فقد شمخت برأسها وأسرعت لتسبقها. ولم تعرف أن جون كان يراقب وجهها الغاضب حتى اختفت عن الانظار. حينئذ

رفع ذراعه عن كتفيها...

وعندما وصل جون ومعه أنيت الى الغرفة الاخرى، كانت كاترين قد انهمكت في العمل - وسمعت أصواتها وضحكاتها، وحاولت أن تغطي على الضجة وصوت الآلة الكاتبة. وحينما وصلت الى جزء لم تفهمه، ترددت طويلا قبل أن تقرر اذا كان من الضروري استشارة جون أم لا.

وطرقت بابه، وحينما دعاها للدخول، صدمت برؤية أنيت جالسة في مقعده، وكانت تتأرجح برقة من جانب الى آخر، بينما كان جون جالسا في المقعد الذي تشغله عادة سكرتيرته.

"نعم، يا آنسة سويل؟"

"هل تستطيع أن توضح لي هذه النقطة؟"

وناولته ورقة وضعها فوق كتاب على حجره. وأمسك بقلمه يجيب على تساؤلها. وكانت واقفة بقربه، وانحنت لترى أكثر وضوحا فلمس شعرها وجنته، ورفع يده ليبعده عنه. وأدركت أنه شم رائحة العطر الثمين الذي أهداها إياه فرنسيس في عيد الميلاد.

واستدارت منصرفة وتفحصتها أنيت في ريبة بعينين باردتين وجميلتين. وراقب جون الاثنتين وكان من الواضح أنه مستمتع بالموقف وجلست كاترين في مكتبها، ثم سمعت جون ينفجر ضاحكا بصوت مرتفع، وصلها عبر الباب يقول:

"لو عرفت كم يثير كل منا أعصاب الآخر، لما قلت ذلك."

وقاومت كاترين دموعها. فقد كانت تعرف جيدا عمن كان يتكلم واستمرت في عملها لفترة من الوقت. وتلاشت الضجة من الغرفة المجاورة، وظنت أنهما انصرفا، لكنها فوجئت بدخول جون وحده، وبابتسامة بطيئة قال:

"تقول صديقتي أن سكرتيرتي تحاول أن تجتذبني. هل هذا صحيح؟"

"أنا أحاول اجتذابك؟ لا بد أنك تمزح. لقد اصطدت

سمكة أكبر منك كثيرا. أليس كذلك؟"

ورفعت يدها أمامه بالخاتم الماسي ذي الفص الواحد الكبير. ثم لمست به وجنتها باعتزاز.

وبرق الغضب في عينيه، وشد قامته، وسار ببطء منصرفا.

انهمكت كاترين في العمل حتى حوالي السابعة والنصف، وقررت الانصراف وأخذت حقيبتها، وذهبت الى غرفة الملابس، وكانت تقترب من جديد من مكتبها حينما أقبل فرنسيس عبر الدهليز.

"مرحبا يا عزيزتي. أما زلت هنا؟"

وشرحت له أنها كانت تقوم بعمل إضافي للدكتور رايت، وأنها كانت على وشك العودة الى البيت. وتأبط فرنسيس ذراعها وسار معها وسأل:

"هل تناولت وجبة من الطعام؟"

"تناولت الشاي. سأتعشى حينما أعود الى البيت."

وفتحت باب مكتبها، بينما كان هو يقول:

"لماذا لا تأتين معي الى البيت؟ أستطيع الاتصال بمديرة بيتي وابلاغها بحضورك."

ثم رأيا جون - فقد كان واقفا أمام مكتب كاترين، يقرأ ما كتبته - وتحرك في الحال في اتجاه مكتبه، لكن العميد قال:

"دكتور رايت، أرجو أن تنتظر لحظة."

ووقف جون ساكنا، وابتسم العميد قائلا لخطيبته:

"هل تأتين معي؟ سيكون ماكس موجودا وحتى لو كان عازما على الخروج، فانه سيلغي موعده ليبقى معك. وبالمناسبة، أحضرت تصميمات ذلك البيت. وقد تحبين التحدث معي في شأنها."

استدار ناحية جون وقال:

"لا أعرف ما اذا كانت خطيبتي ذكرت لك مسألة ..."

"إحضار تذكرتين لحضور المؤتمر. لقد فعلت. وقد رتبت

أمر حجز مكانين."

"هذا كرم منك. سأتحمل بالطبع الرسوم الخاصة بكلينا."

"هذا أمر غير مطروح للمناقشة يا سيد روتلاند."

"لكنني مستعد لأن ..."

"لا داعي على الاطلاق. إن ثمن التذكرتين شيء بسيط للغاية. وقد تم الحجز في الفندق أوتوماتيكيا، وتستطيع إن شئت أن تتكفل بنفقات الاقامة."

"بالطبع، شكرا لك على ما فعلت."

وتحركا في اتجاه حجرة جون، وتابع العميد كلامه قائلا:

"لقد فكرت في اقتراحاتك، واتصلت بقسم التربية، ويبدو أن بعض آرائك مقبولة."

وأحست كاترين بالفرح، لأن فرنسيس لم يرفض كل آراء جون، ولأن جون سيكون بذلك مسرورا.

فتح ماكس لهما الباب وبدا مسرورا لرؤية كاترين، وانحنى أمامها، وأخذ منها معطفها. وعندما اعتذرت عن حضورها بملابس العمل، أكد لها أنها جميلة أيا كان ما ترتديه. وأمضوا أمسية سعيدة، وراجعوا تصميمات البيت، وتبادلوا الآراء.

ورافقها ماكس في طريق عودتها الى البيت ... في البداية تردد فرنسيس في السماح له بذلك. ثم وافق في النهاية، وسرت كاترين لأنه لم يكن لها الخيار. ودعت ماكس لمقابلة أخيها وخطيبته وقالت له:

"هل عرفت يا ماكس أن عندنا الآن مستأجرا؟"

"كلا، من يكون؟"

"صديق لجيف، إنه الدكتور رايت."

"رئيسك؟ كيف استطاع أن يتسلل الى هنا؟"

"إن جيف هو الذي دعاه. ولم يخبراني بشيء الا بعد أن تم الاتفاق بينهما."

"يا لها من خدعة. كيف تستطيعين احتماله في العمل وفي البيت؟"

"أنا لا أراه كثيرا في البيت - وعلى أي حال فهو يخرج كل مساء. ولا أظنه عاد، ولهذا ادخل وقابل الآخرين."

ونادت كاترين:

"جيف، معي شخص يتلهف على مقابلة هيلين. هل نستطيع الصعود اليكما؟"

وظهر رأس هيلين فوق الدرابزين وقالت:

"هذا يبدو مثيرا، اصعدي به. ربما استطعت أن أثير غيرة جيف."

وسألت بصراحتها المعتادة:

"هل أنت متزوج يا سيد روتلاند؟"

"اسمي ماكس يا هيلين. لست متزوجا، ولا حتى في حياتي امرأة - إن لي صديقة أو اثنتين وأظن أني سأتزوج في يوم ما. لكني حاليا أحب حياتي كما هي. وأعتقد أنني يجب أن أعيش في انتظار فتاة مثلك تعترض حياتي. صاح جيف معترضا:

"ارفع يديك عن فتاتي!"

وضحكوا جميعا. ونظر ماكس الى كاترين وقال:

"واحدة مثل زوجة أبي المستقبلة ستكون مناسبة بالطبع. رائعة في الواقع ولكن ليس هناك كثيرات مثلها."

وضحكوا جميعا مرة أخرى، ولم يسمع أحد الباب وهو يفتح. ووقف جون وعلى وجهه تعبير عدائي. وحدق في كاترين وفي رفيقها، وحرك ماكس تلقائيا ذراعه من فوق ظهر الاريكة، ولفها حول كتفي كاترين، بينما وضع يده الأخرى فوق يديها.

وسرت نظرة الازدراء في عيني جون الى أعماق كاترين: ما الذي ارتكبته لتستحق احتقاره؟ وحاولت الابتعاد عن ذراع ماكس، لكنه استبقاها وحدق كل من الرجلين في

الآخر. أحدهما في برود ساخر، والآخر في جرأة وتحد.

سألت هيلين:

"هل أمضيت سهرة لطيفة يا جون؟"

"ممتازة، شكرا يا هيلين، كانت أنيت رفيقة جيدة كالمعتاد وطهوها كان رائعا."

واستطرد قائلا:

"شكرا جزيلا، طابت ليلتكم."

وتنفس ماكس الصعداء بمجرد أن أغلق الباب خلف جون - وقال:

"لا أعرف شخصا آخر يستطيع بمجرد نظرة أن يشعر شابا ناضجا مثلي بأنه مجرد ولد مثلما يستطيع هذا الرجل.."

وقال جيف:

"إنه ليس على هذه الدرجة من السوء يا ماكس. لكنك قابلته وهو منحرف المزاج."

"إذن لا بد أنه في حالة انحراف مزاج دائمة. سمعته في الكلية. يجب أن ترثي لأختك المسكينة، يا جيف. وإلى حد ما، فانني أيضا أرثي لأبي لانه نائبه."

وبعد أن ودعت كاترين ماكس، وأغلقت الباب بالمزلاج، واتجهت ناحية غرفتها وجدت جون في انتظارها على السلم. قال:

"لحظة من فضلك."

وأحست كاترين بالرغبة المفاجئة في الهرب والاختباء، واستدارت لتصل الى مقبض باب غرفة نومها، لكنه نادى بحدة:

"قلت انتظري."

وكانت أشد خوفا من أن تعصي أمره - ونزل السلم ببطء.. ووقف فوق الدرجة السفلى، واستند بيده على الدرابزين وقال:

"أعتقد أنه حان الوقت لتذكيرك بأنك ستتزوجين الأب

لا الابن."

وتجمدت عيناه واستمر يقول:

"أن تتزوجي رجلا، وتستمرين في تشجيع الآخر، سيكون أمرا مثيرا للازدراء الشديد. اختبرت ذلك بنفسي، تذكرين؟ إن مرور السنين لم يحسن من مستواك الخلقي."

وألجمها تعريضه الجارح بها - وفهم سكوتها على أنه اعتراف بالذنب، وابتسم ابتسامة بغيضة وقال:

"أرى أن تعليقاتي أصابتك في الصميم، وأرجو أن تفهميها على حقيقتها."

كانت كاترين قد سمعت ما فيه الكفاية. فاندفعت الى غرفتها وصفقت الباب في وجهه. كان يأسها أعمق من أن يستدر الدموع، وأخذت تذرع أرض الغرفة حتى تغلبت على غضبها، وهدأت نفسها.

في صباح اليوم التالي، كان كل منهما لا يكاد يحتمل البقاء في الغرفة نفسها مع الآخر. واستدعاها جون الى مكتبه واستبقاها أقل وقت ممكن. لم تكن بينهما مناقشات، ولا تبادل آراء.. ما من كلمة زائدة عن الحاجة دارت بينهما وقبل أن يذهب ليتناول غذاءه، استدعاها مرة أخرى:

"سأتغيب بقية النهار في اجتماع. وبعد ذلك سأتغيب في المساء. أعتقد أنك لم تعدلي عن قرارك في شأن العمل الاضافي الذي طلبته منك؟"

"على الأقل يا دكتور رايت، دع لي بعض الشرف، انني سأقوم بالعمل كما وعدت - انني لا أقحم خصوصياتي في العمل."

"من أجل ذلك على الاقل يجب أن أكون شاكرا."

وانصرف تاركا إياها واقفة في مكانها.

وتخلى عنها صمودها. كان توتر الأمور بينهما يحزنها بشدة لقد كان يتهمها بجريمة ما كانت أخلاقها لتسمح لها أبدا بارتكابها. وكانت تعرف أنها بريئة من كل ما اتهمها

به . لكنها كانت تعرف أيضا أن إقناعه ببراءتها أمر يفوق قدراتها ، لأنه لم يعد مستعدا لتصديقها .

٨- استعادة الماضي

قررت كاترين بعد تناول الشاي، أن تأخذ حماما واستمتعت بحمامها. وغمرتها الفرحة لفكرة خروجها مع ماكس، حتى وإن كان ذلك لمجرد تجربة المسرحية. كان رفيقا مثيرا، وكان اعجابه الصريح يرضي حاجتها الملحة في تلك الفترة الى ما يرد اليها ثقتها بنفسها، بعد ما كان من سلوك جون معها.

وجمعت حاجاتها، وأسرعت تهبط السلم، كانت ترتدي قميصها التركوازي الجديد، وبحثت عن ثوبها، وتذكرت أنه ما زال معلقا على باب الحمام وصعدت السلم بسرعة. وما كادت تصل الى الحمام، حتى فتح الباب. وقال جون وهو يتأملها:

"مرحبا، تبدين فاتنة للغاية."

واحتقن وجهها وقالت:

"عدت مبكرا يا جون، لم أكن أتوقع .."

"إنه تغيير لطيف .. هل كنت تريدين شيئا؟"

"نعم، اريد دخول الحمام لحظة. نسيت شيئا هناك."

واستند الى الباب، وعقد ذراعيه، وتفحصها في دقة، مستمتعا بحرجها وقال:

"تغيرت ظاهريا بمرور السنين، ولكنك في الاساس

أستطيع القول أنك لم تتغيري، ما زال ذلك القد الصغير الدقيق."

"هلا سمحت لي بالمرور؟ أريد أن آخذ ثوبي."

"ذلك الشيء الجميل المعلق على الباب، هل أنت خارجة؟"

"نعم لحضور تجربة مسرحية الطلبة. اسمح لي يا جون وإلا اضطررت الى دفعك حتى أدخل."

"ليست هذه هي الطريقة التي تتحدث بها سكرتيرة الى رئيسها أيا كان السبب."

"جون، من فضلك."

"ليس قبل أن تعطيني كلمة السر يا آنسة سويل."

قال بلهجة التحدي:

"من فضلك يا دكتور رايت."

"هذا أفضل يا آنسة سويل."

وأفسح لها لتمر، وأخذت ثوبها، وأسرعت تهبط السلم، لتسمعه يضحك منها، ولكن ضحكته تلاشت عندما قالت:

"سيحضر ماكس ليصطحبني ولا أريد أن أطيل انتظاره. التجربة ستتم الليلة."

استقبل جون سكرتيرته في مكتبه بابتسامة عريضة، وقال:

"ترتدين ملابس مناسبة هذا الصباح يا آنسة سويل؟ مظهرك محتشم للغاية كما أرى. لا يهم، سيساعدني ذلك على تركيز ذهني في العمل."

وأحست كاترين فيه اختلافا، ولكنها لم تستطع أن تحدد التغيير أو الدافع اليه وانتهت الى أنه ربما كانت أنيت وراء ذلك. لا بد أنها استطاعت أن تفوز به كما أرادت.

وظل مزاجه هادئا طوال اليوم - وفي ذلك المساء بينما كانت كاترين تعمل في مكتبها، ظل جون في غرفته. وتوقعت أن تنضم اليه أنيت في أية لحظة أو أن يذهب هو بحثا عنها، لكنه بقي وحيدا.

وعندما انتهت، طرقت بابه، ووضعت الأوراق المكتوبة

على الآلة الكاتبة أمامه على المكتب. وعندما استدارت لتنصرف، وضع يده فوق ذراعها. وسألها:

"الى أين تذهبين؟"

"الى البيت."

"سأصطحبك."

"لا داعي لذلك. سأعود في الاوتوبيس كالمعتاد."

"سأصطحبك الى هناك."

ودفع بالاوراق التي أعطته إياها في حقيبته، وطلب منها أن ترتدي معطفها وأضاف:

"ما لم تكوني ذاهبة الى بيت خطيبك."

وهزت رأسها بالنفي.

واستمتعت كاترين بالعودة الى البيت في سيارة جون، التي كانت بالتأكيد أكثر راحة من مقعد في اوتوبيس من طابقين، وصارحته بذلك، فقال:

"هل تحاولين الحصول على توصيلة ليلية؟"

"ما كان ذلك ليجدي لو فعلت. وعلى أي حال ... فإنك لا تذهب كل مساء الى بيتك، أليس كذلك؟"

وسحب نفسا وقال:

"مخالبك في حاجة الى تقليم. إنها تدمي."

واستقبلهما الكلب بنباحه، وتبع جون في الدخول الى غرفة كاترين التي قالت له:

"اجلس اذا أردت."

واستعملت المدفأة الكهربائية لتدفئة الغرفة لأن النار لم تكن معدة للاشتعال في المدفأة الاخرى - وخلعت كاترين معطفها ووشاحها، ورفعت معطف جون من فوق الاريكة حيث ألقى به في اهمال، ووضعته له فوق درابزين السلم ليأخذه معه حين صعوده.

ووقفت لحظة تتأمله. كانت ساقاه ممدوتين، وكانت

عيناه مغلقتين، ورأت ظلالا وتجاعيد على وجهه لم تلاحظها أبدا من قبل.

"هل أنت متعب يا جون؟"

وفتح عينيه:

"متعب؟ إنها الزوجة السابقة في أعماقك التي تسأل بحكم العادة. ولكن شكرا على اهتمامك."

"ربما تفتقد صديقتك؟"

ورفع بصره، ورأى الابتسامة الماكرة. ومد يده، وأمسك بخصرها وأجلسها فوق ركبتيه قائلا:

"ستجلسين هنا تأديبا لك على وقاحتك."

قالت وهي تحاول عبثا النهوض:

"لكنني لا أريد ذلك."

"هذا أمر سيء للغاية."

واستند برأسه على ظهر المقعد، واستطرد قائلا:

"إني في حاجة الى حنان."

"لماذا إذن لم تذهب الى أنيت، هل ألغت دعوتها؟"

"كلا، لكني أبذل جهدا للابتعاد عنها بعض الشيء لقد أصبحت مستبدة أكثر مما يجب - وليس هناك ضرر في بلبلة المرأة لفترة من الوقت. تعلمت كل ذلك بمرور السنين."

وحاولت كاترين من جديد أن تتخلص منه، ولكنه منعها.

"كم تستطيع أن تكون مبالغا في الشك!"

"إن مرارة الشك تسري في شراييني بدلا من الدماء."

"ولكن الشك قد يعميك عن الحقائق؟"

"بالعكس، أستطيع أن أقول أن هناك قدرا من الشك لدى كل عالم جيد. ولأن لدي عقلية العالم، فاني دائما أواجه الحقائق مهما كانت بغيضة."

"يجب على الاقل أن تتأكد قبل أن تصدر حكمك، إن الوقائع التي تواجهها صحيحة."

"امر مسلم به."
ونظرت اليه بجدية، وبرجاء. كان كل منهما يعرف أن، لا يزال يهرب من طرح الموضوع الحقيقي وراء المناقشة. وكانت هي تناشده في صمت أن يعيد حكمه على ما حدث بينهما منذ حوالي عشر سنوات، بحيث يكون حكما عادلا أمينا.
"أدنتني بلا محاكمة على جريمة لا تملك برهانا أكيدا على أنني اقترفتها."
"أدنت أنت نفسك منذ سنوات، تلك الرسالة التي كتبتها الي عندما كنت في اميركا، عن الرجل الآخر الذي وقعت في حبه. كانت بالتأكيد برهانا كافيا."
"أنت لن تغير رأيك. ألم تساورك أبدا الشكوك في صحة تلك الرسالة وفي إدانتك القاطعة لي؟"
"لم أجد أدلة جديدة تدفعني الى ذلك. على النقيض، كل ما رأيته منذ عودتك ثانية الى حياتي، يؤكد لي من جديد كم كنت مصيبا في حكمي عليك. وكما سبق وقلت التاريخ يعيد نفسه. وشكرا لله أن رجلا آخر هو الضحية. ولست أنا."
رآها تعض على شفتيها فقال:
"أنت التي سعيت وراء ذلك."
"لكن لماذا تحكم علي دائما بمنظار المعتد؟ يبدو أنك حينما تفكر في، يتخلى عنك منطقك."
"إن منطقي لا يختلف مهما كانت الاحوال."
ورفع رأسه ونظر اليها وقال:
"ما الذي تحاولين قوله، عندما أراك تحومين حول رجل، بينما أنت مخطوبة لآخر، تنتابني الحيرة تجاه تصرفاتك."
"الخطأ ليس في عينيك ولكن في تأويل عقلك لما تراه."
ووضعت يدها فوق كتفه وقالت:
"وحتى لو كنت قد ارتكبت الجريمة التي تتهمني بها، ألا أستحق الغفران؟"

وقرأت الجواب في وجهه الذي تجمد، وسمعت الباب الخارجي يفتح فقالت:
"إنه جيف."
"من الأفضل أن تنهضي، حتى لا تساور أخاك الأفكار الخاطئة."
ووقف وأخرج سيكارة وأمسكها بين أصابعه وقال:
"بما أنك تكرهين للغاية اعتيادي التدخين، فمن الأفضل أن أنصرف."
واستدار عند الباب وقال:
"سأدير بعض الاسطوانات الموسيقية - سأرحب كثيرا بمجيئك لسماعها، فهل تأتين؟"
"يسعدني ذلك."
وأعدت كاترين لنفسها الشاي، ثم غيرت ملابسها. ارتدت سترة صوفية باللون الابيض. وجددت زينة وجهها، ومشطت شعرها، وصعدت الى الطابق العلوي في شيء من العصبية. فطرقت باب غرفة جون، ونبح فلوب بحدة. وجاء صوت جون من خلال الباب المغلق:
"يقول لك تفضلي بالدخول."
ورمقها بنظرة خاطفة، ثم تابع إخراج تسجيلاته، وسألها:
"ماذا نسمع؟ القرار لك."
ووقفت كاترين بقربه، وأخذت في مراجعة التسجيلات، ثم قالت:
"ما رأيك يا جون في السمفونية الأولى لبرامز؟ إنها قطعة موسيقية رائعة. ألست معي في ذلك؟"
قال شاردا:
"رائعة."
وابتعد بنظراته عنها، واستطرد قائلا:
"اختيار جيد. أخبريني اذا كنت مخطئا. ألم نذهب

بعد زواجنا مباشرة الى حفل لسماعها ؟"
"أذكر ذلك؟ ولم نكن نملك ثمن المقاعد. ولذلك كان علينا أن نقف."

وأعد الجهاز للتشغيل، وسار عبر الغرفة، وجلس في المقعد المجاور لها.

وأغمضت كاترين عينيها حينما انسابت أنغام السيمفونية، وغمرتها الألحان المنبعثة من الاستريو بالبهجة، ولم تنتبه الى عيني جون اللتين كانتا تتأملانها ولم تتحرك حتى انتهى اللحن ...

"كاترين، لقد انطلقت بعيدا، هل كنت نائمة، أم كنت تبكين؟ ذكريات سعيدة، أليس كذلك؟"

"لو كانت سعيدة ما أبكتني، أليس كذلك؟"

"لكن الذكريات السعيدة عندما تستعاد في الاوقات الحزينة، فانها غالبا ما تستدر الدموع – ومن أجل هذه الفكرة العميقة يمكنك أن تشكري الموسيقى البديعة."

وأمسك بيدها، وساعدها لتنهض، ثم جذبها اليه. والتوت ذراعاه حولها. ونظر في عينيها، وهمس:

"هل نعيد عقارب الساعة الى الوراء؟"

"لا أدري ماذا تعني."

"اعتقد أنك تعرفين."

"إنني آسفة، حاول مع أنيت إن لم تكن قد فعلت ذلك بالفعل."

واختفى البريق من عينيه. وأسقط ذراعيه، وتحرك مبتعدا وقال:

"انسي ما تفوهت به."

في اليوم التالي لحقت كاترين بجون في مكتبه قبل أن ينصرف لالقاء درسه وقالت:

"رسالة لك يا دكتور رايت من الآنسة لينتون."

"ماذا تريد؟"

"سألت عما اذا كانت ستراك وقت تناول القهوة هذا الصباح."

وناولته ورقة، ولاحظت تعابير وجهه وهو يقرأ ما فيها:

"أخبري الدكتور رايت أنني افتقدته بشدة الليلة الماضية، وقد أحسست بالوحدة. اسأليه عما اذا كنت أستطيع لقاءه الليلة."

وبدا عليه الانفعال، ومزق الورقة وألقى بها في سلة المهملات.

"لماذا سجلت الرسالة كتابة؟"

أصرت هي على أن أكتبها، قالت قد يكون لذلك وقع أشد..

"يمكن اخبار الآنسة لينتون، اذا اتصلت هاتفيا مرة أخرى، أنني مشغول طوال اليوم، وأنني لن أتمكن من زيارتها هذا المساء أيضا."

ظلت كاترين تعمل بلا انقطاع حتى موعد القهوة – وحين صعدت الى غرفة طعام هيئة التدريس، تبينت أن أنيت لم تكرر الاتصال هاتفيا، وقررت أن توصل لها رسالة جون.

وكانت أنيت جالسة كالعادة وسط الرجال – كان جيم ميكسبي موجودا، وكذلك فريد ويلفورد. وقاما بتحية كاترين حينما اقتربت منهما متسائلين عما يمكن أن يفعلاه لها، فقالت:

"أريد آنسة لينتون. لدي رسالة لها من الدكتور رايت."

وبلهجة باردة قالت أنيت:

"ما هي هذه الرسالة الهامة؟"

"طلب مني أن أخبرك أنه لن يستطيع رؤيتك لأنه مشغول طوال اليوم وانه أيضا مرتبط في المساء."

"شكرا على ابلاغي الرسالة بمثل هذه اللباقة."

وألقى جيم ميكسبي رأسه الى الخلف وضحك قائلا:

"خذلك يا أنيت؟"
وقال السيد ويلفورد:
"تجربة جديدة بالنسبة اليك يا أنيت، أليس كذلك؟"
"ما من رجل يستطيع أن يفعل بي ذلك، وينجو من النتائج."
ذهبت كاترين ذلك العصر الى مطعم الطلبة دون أن تخبر جون. وتناولت على عجل فنجان قهوة مع قطعة بسكويت، ثم عادت الى مكتبها من قبل أن يعرف أنها غادرته. وكان قد أعطاها كمية من العمل، وأخبرها أن هذه هي آخر أمسية سيطلب فيها منها عملا اضافيا. ولم تسمع صوتا منبعثا من مكتب جون. وتساءلت عما اذا كان قد ذهب الى أنيت. وطرقت الباب وفتحته. ولدهشتها وجدته وراء مكتبه يقرأ - ورفع بصره اليها وابتسم قائلا:
"انتهيت؟"
وناولته رزمة الأوراق.
"أحسنت العمل ... إنني مدين لك."
وسحب مقعدا، وقال:
"اجلسي بجانبي أثناء قراءة هذه الأوراق."
ورفع رأسه أخيرا وقال بابتسامة دافئة:
"ممتاز. هل تتناولين العشاء معي الليلة؟"
"حسنا .. أنا."
"إذا لم تكوني راغبة. قولي فقط ذلك."
"ليس الامر كما ظننت .."
ونظرت الى نفسها وعادت تقول:
"أنا لا أرتدي في الحقيقة الملابس المناسبة لذلك."
"هل هذا كل ما في الامر؟ سأصطحبك الى البيت لتغيري ملابسك، إذا وعدت بأن تسرعي."
"سيسعدني ذلك."
وعاد بها الى البيت. واختارت السترة الزرقاء التي سبق

أن ارتدتها حينما اصطحبها ماكس للغذاء، وارتدت فوقها معطفها الأزرق ذا الياقة المصنوعة من الفراء. والتقت جون في الصالة:
"تبدين ساحرة."
وسألت كاترين وهما يسيران في السيارة، وسط الشوارع المظلمة:
"إلى أين سنذهب؟"
"الى أين تظنين؟"
"الكونتيننتال؟"
"وهل هناك غيره!"
ولمعت عيناها وقالت:
"إنه مكان جميل. لطيف منك للغاية أن تأخذني هناك."
"سآخذك الى هناك لأنك أحسن سكرتيرة عرفتها، ولأني مدين لك للغاية بكل الأعمال الاضافية التي قمت بها من أجلي ولأني أستمتع بصحبتك. هل هذه أسباب كافية؟"
وأومأت بالايجاب.
وقادهما المضيف الى ركن ذي أضواء ناعمة، ومائدة نصف مختفية، يستطيعان منها المراقبة، دون أن يراقبهما أحد.
قال جون وهما يأخذان مكانيهما:
"مكان ممتاز. هل يعجبك يا آنسة سويل؟"
"كل شيء يسرني يا جون. لا أدري لماذا. لكني أحس بسعادة غريبة."
ومرت لحظات صمت ثم قالت كاترين:
"جون، انني لم أسأل أبدا عن أحوال أسرتك. ماذا حدث لأختك؟ هل والدك ووالدتك .."
"نعم، ما زالا على قيد الحياة وهما يعيشان حاليا على مقربة من لندن. وقد تزوجت مارجوري منذ عدة سنين، وتعيش في مانشستر ولها ثلاثة أطفال."
"من هو زوجها؟"

"تزوجت شابا انضم للعمل في الشركة كمحام صغير، اسمه مايكل."

وساد صمت طويل بينهما، قطعته كاترين بكلمات ما كادت تنطقها حتى تمنت لو لم تكن قد تفوهت بها. قالت:

"إن أنيت تكره الاطفال."

"هل أنا مهتم بمعرفة ما إذا كانت أنيت تحب الصغار أم لا؟"

"انك تلاحقها بما فيه الكفاية. أليس كذلك؟"

"اعتقدت بأن العكس هو الصحيح - على أي حال، ان علي أن اجعلها تغير رأيها .."

وصل الطعام، وسرعان ما عاد بينهما الانسجام. ووصل كذلك الشراب الذي طلبه جون، ووضعه أمامها ..

"دعينا نشرب نخب المستقبل .. مستقبلنا المنفصل."

"نخب مستقبلنا المنفصل يا جون."

وقرعا كأسيهما. وقال جون بعد أن وضع كأسه على المائدة ونظر اليها:

"أخبريني يا كاترين، لماذا ستتزوجين فرنسيس روتلاند؟"

"لأنني مولعة به على ما أظن، ولأنني بعد كل هذه السنين من عدم الاستقرار ومن الكفاح من أجل المادة، أريد نوعا من الأمان الذي يستطيع هو أن يوفره لي."

"إنك لا تحبينه؟"

"قلت لك إنني مولعة بفرنسيس."

"يقولون في الكلية أن دافعك هو الطمع."

"ليس صحيحا."

"أعتقد أنك تريدينه لأنه يمثل لك الاب الذي فقدته في طفولتك. هل أخبرته عني؟"

"أخبرته أنني أرملة، وأن زوجي مات منذ سنوات - وهو يعرف أن زواجي لم يدم طويلا."

"الا تعرفين أنه لا بد لك من إخباره بذلك وبأن لقبك

القانوني هو رايت."

"أنت تعني أن علي أن أوقع وثيقة الزواج باسمي الحقيقي؟ أعرف وسأخبره في وقت ما."

ولفهما الصمت فترة، وعندما جاء دور القهوة دس جون يده في جيبه وسحب لفافة قائلا:

"إن لدي شيئا أريد أن أعطيك إياه. هل تتفضلين بالنظر إليه؟ انه لقاء العمل الاضافي الذي قمت به. وكهدية متأخرة بمناسبة عيد ميلادك الذي أسفت كثيرا على أنني نسيته .."

"ولكن يا جون."

"افتحي اللفافة. أتمنى أن يعجبك ما في داخلها."

وفتحت اللفافة بأصابع مرتجفة، ورفعت غطاء العلبة وهتفت:

"ما كان يجب .."

وتأملت البروش المتلألىء، على هيئة غصن صغير للأزهار وسألت:

"ولكن! .. هل هو .."

"نعم، إن فصوصه من الماس الحقيقي. يجب عليك أن تقومي بالتأمين عليه."

"إنني عاجزة عن الكلام. كيف يمكن أن أوفيك حقك من الشكر؟"

ومدت يدها عبر المائدة، واحتضنت يده. وغطى هو يدها بيده الاخرى، وقال:

"بالطريقة المعتادة. ليس هنا .. في السيارة .."

واحتقن وجهها بشدة، وسحبت يدها وسألت:

"هل لديك مانع في أن أضعه على سترتي."

"هذا هو ما صنع من أجله. لكني لن أفعل ما فعله صديقك، بأن أضعه لك بنفسي."

وشبكت البروش في ياقة سترتها بينما كان هو

يهمس متسائلا:
"ماذا ستقولين لفرنسيس؟"
"لن أخبره عنه. لن أدعه يعرف أنني حصلت عليه."
"في الزواج الناجح، يجب ألا تكون هناك أسرار بين الزوج والزوجة. واجهي بصراحة ما تنوين فعله في حياتك. يجب ألا ترتكبي غلطة أخرى."
نظر جون الى ساعته ثم قال:
"برغم أن السهرة ممتعة الا أن الوقت حان للانصراف."
عندما دخل جون البيت، ارتفع رنين الهاتف وذهبت كاترين لترد وأصغت، ثم قالت:
"مجرد لحظة.."
ونظرت نحو جون وقالت:
"المكالمة لك. آنسة لينتون."
ونزل بسرعة البرق وأمسك بالسماعة قائلا:
"أنيت؟ من تكون المرأة التي ردت عليك؟"
ونظر الى باب حجرة كاترين نصف المفتوح وقال:
"إنها آنسة سويل. ماذا؟ ما أظنك تهتمين بمن تكون سيدتي الغامضة. في الواقع لقد عدت لفوري من توصيلها."
وارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وقال:
"لست مضطرا لأن أخبرك بكل شيء يا عزيزتي. لماذا اتصلت بي؟ النور منقطع لديك؟ لماذا؟ أضأت كل الأنوار؟ يجب ألا تقومي بتشغيل كل هذه الاشياء مرة واحدة أبدا. اسمعي، أعطني عشر دقائق وأكون عندك."
وأغلق الباب الخارجي خلفه، وابتعد صوت سيارته منطلقا الى منزل أنيت.
وحضر جيف وتساءل:
"إلى أين انطلق جون في مثل هذه الساعة من الليل أشبه برجل مجنون؟"

"اتصلت به أنيت هاتفيا - النور منقطع عندها. على أي حال هذه روايتها."
وأطلق جيف صيحة اشمئزاز وقال:
"إذن فلن نراه الليلة."
وشحبت كاترين وسألت:
"ماذا تعني بذلك؟"
"تعرفين جيدا ما أعني. إن كل شيء متوقع من جنون أنيت. إنها لم تنل هذه السمعة عبثا."
وأحست كاترين بالاعياء. وهالها مجرد التفكير بأن أنيت ستنجح في خطف حبيبها منها الى الأبد.

٩- كات وماكس

عندما وصلت كاترين الى عملها صباح اليوم التالي وجدت جون واقفا أمام مكتبها يقرأ رسالة. قالت وهي تعلق معطفها ووشاحها:

"آسفة على التأخير. فاتني الاوتوبيس."

"أنا مستعد لأن أقلك كل صباح."

واتجه نحو مكتبه وارتفع رنين هاتفها الخارجي، ورفعت السماعة.

"مرحبا يا ماكس. نعم، الليلة في بيتي حوالي الثامنة."

وأحست كاترين بحركة جون في مكتبه. كان بابه ما زال مفتوحا، وتمنت لو أغلقه..

"هل سنحتاج الى طعام يا ماكس، أم أنك ستتناول وجبتك قبل المجيء؟"

وخفضت صوتها:

"إنه في مكتبه - كلا، رأسي ما زال سليما، لكنه سيقطعها بالتأكيد إذا لم أذهب اليه الآن. الى اللقاء."

وتمنت ألا يكون جون قد سمع كلماتها الأخيرة.

وحينما ذهبت اليه مستعدة للعمل نظر اليها بدقة، ولكنه

م يقل شيئا٠ وحينما تكلم كان قد استرد صوته العادي بلا
بودة، بلا نعومة٠ وقال وقد تحجرت عيناه:
"ربما نستطيع الآن، وقد انتهيت من ترتيب أمسيتك، أن نبدأ
لعمل٠"
"إني آسفة٠"
وبدأ يملي عليها٠ لكن الهاتف رن٠ ومالت كاترين فوق
لمكتب لترد في الوقت الذي تحركت ذراع جون، لتتلاقى
يداهما فوق السماعة٠ قال:
"نعم ٠٠"
ودون أن ينبس بكلمة أخرى ناولها السماعة٠
"نعم يا فرنسيس٠ ماكس سيأتي الليلة الى بيتي٠ إنني غير
رتبطة يوم السبت٠ هل آتي لرؤيتك٠ تفضل أن تأتي أنت؟
سيكون ذلك لطيفا٠ حوالي الثامنة؟ نعم ٠٠"
اختلست نظرة سريعة نحو جون، الذي كان يطل من النافذة
عابسا٠
"إنني آسفة للغاية٠"
"لا تعتذري، من حسن الحظ أنه ليس غير اثنين في الأسرة٠
إلا كنا مضطرين الى وقف العمل في انتظارك ترتيب
مواعيدك٠"
ابتسمت كاترين وعادت الى العمل٠
ارتدت كات فستانا جميلا وجلست تنتظر حضور ماكس الذي
بادرها فور وصوله:
"هل نحن وحدنا، أم أن الرجل في البيت؟"
"إذا كنت تقصد رئيسي، فهو ليس موجودا٠ استرح، ليس
معنا سوى جيف في الطابق العلوي، والكلب بالطبع٠"
وأخذت منه معطفه لتعلقه في الخزانة٠ ونظرت الى
لصندوق الصغير الأسود الذي في يده، وسألته وهي تقوده الى
غرفة الجلوس:
"ما هذا؟"

"سأخبرك بعد دقيقة٠"
ووضعه فوق المائدة وقال:
"قد تكون التدفئة المركزية شيئا عظيما، لكن ثمة شيء في
هذه الطريقة القديمة يدفىء القلب لا يمكن للأجهزة
الكهربائية أن تحققه٠"
وعاودها اهتمامها بالحقيبة السوداء الصغيرة ٠٠ فلمستها
قائلة:
"أخبرني يا ماكس عما في الحقيبة٠"
"انه جهاز تسجيل يمكن حمله باليد٠ هل سمعت أبدا صوتك
مسجلا؟"
"لا أستطيع أن أزعم ذلك، لماذا؟"
"ستصدمين حينما تسمعينه٠"
"لماذا أحضرته؟"
"لتسجيل مراجعتنا لأدوارنا، ثم سماع التسجيل٠ وبهذه
الطريقة نستطيع أن ننتقد أنفسنا٠ كل الممثلين والممثلات
الكبار يفعلون ذلك٠ حينما أضغط على هذا الزر، يعني ذلك أن
كلامنا يسجل٠"
واستمتعت كاترين بالأمر٠ كان ماكس ممثلا قديرا حتى أن
مهارته حمستها لتحاول الارتفاع الى مستواه٠ وحينما سمعا
تسجيل صوتيهما سرتهما النتيجة وكررا الامر ثلاث مرات،
وفي كل مرة كانا ينتقدان نفسيهما، ويعملان على تحسين
الأداء٠ ثم تركا نسخ المسرحية وانطلقا يؤديان دوريهما من
الذاكرة٠
وقال ماكس مبتسما:
"هذا يكفي لليلة٠"
ووقف، وأمسك بيديها٠ وقال:
"تعالي يا جميلة، دعينا نجرب شيئا آخر٠"
وكان على وشك أن يوقفها عنوة على قدميها، حينما

فتح الباب فجأة، ووقف جون قاسي التعبير وقال بتهكم:
"أنا آسف على المقاطعة. لكن الصدفة شاءت أن أعمل فوقكما. والضجة التي تحدثانها تجعل التركيز مستحيلا. سأكون ممتنا اذا خفضتما الصوت."
والتهبت عينا ماكس بغضب، وقال بصوت تعمد أن يكون مرتفعا:
"من يظن نفسه؟"
"اهدأ يا ماكس، سأعد القهوة. إن بعضا منها يهدئني."
وهدأت القهوة من أعصابها. وجلسا جنبا الى جنب. وتبادلا الحديث. قالت كاترين وهي تنظر في وجهه:
"حدثني يا ماكس عن أبيك وأمك."
"أمي طيبة، وعاقلة. ما كان يمكن أن تكون أفضل من ذلك كأم. أما كزوجة فلا. لقد أدركت حينما كبرت أنها كانت وديعة أكثر من اللازم حتى أنها أفسدت أبي بالتدليل. كانت دائما رهن إشارته وطلبه. لقد أوصلته الى ما هو عليه الآن. رجل صعب متحذلق. لا يطاق أحيانا. أعتقد أن هذا الجانب في طبيعته لم يتضح لك بعد. ولكن احذري يا فتاتي العزيزة إن ما يريده منك هو أن تكوني الزوجة الخاضعة الضعيفة."
"إنك تتكلم بصراحة شديدة يا ماكس. كيف تستطيع أن تتحدث عن أبيك دون التأثر بأية عاطفة نحوه. ألست مولعا به؟"
"نعم، أنا مولع بالرجل المسن، ولكن اذا لم تكوني راغبة في معرفة الحقيقة فقد كان عليك أن تخبريني."
واستدار ناحيتها، وقال:
"حدثيني عن نفسك. كيف نجوت من الرجال كل هذه المدة الطويلة؟"
"كنت متزوجة. ألم تكن تعرف؟"
"هل يعرف أبي؟"

"إنه يعتقد أنني أرملة. لكنني لست كذلك يا ماكس. لقد طلقت زوجي."
"هل تعرفين وجهة نظر أبي عن الطلاق؟"
"كلا."
"إنه ضد الطلاق تماما. معارض له معارضة مطلقة، ليس عن عقيدة دينية، بل عن عقيدة شخصية من جانبه."
ونهض وقال:
"نصيحتي لك ألا تتأخري كثيرا في إخبار الرجل المسن. ربما يغفر لك. أما اذا فعلت ذلك بعد فوات الأوان، فإنه يمكن أن يحيل حياتك جحيما بعد الزواج."
ضحك ماكس، ورفع عينيه نحو الطابق العلوي بابتسامة انتصار وانصرف.
وفجأة ظهر جون واقفا على السلم، وقال بتهكم:
"لماذا تصرفت هكذا مع ماكس؟"
"لا شأن لك بما أفعله في حياتي الخاصة."
"خاصة؟ منذ متى كانت صالة المدخل مكانا خاصا؟ وربما يجب أن أذكرك، رغم أنك بخبرتك بالرجال كان يجب أن تعرفي، أنه عندما تلعب المرأة بالنار، فإن أصابعها هي التي تحترق، وليست أصابع الرجل."
"ولماذا يقلقك أمر أصابعي المحترقة؟ إنك لست وصيا علي. وأنا لا أعني لك شيئا الآن."
"هذه حقيقة لا أناقشها، ولكني لا أحب أن أرى امرأة، أية امرأة، تسيء الى نفسها بحماقة مثلما تفعلين."
كان سلوكه نحوها في اليوم التالي باردا، وهي لم تكن قادرة على العمل. وجعلت انتقاداته الدموع تفر من عينيها بين الحين والآخر وتتساقط فوق مفكرتها، وكان هو يكتفي بمراقبتها حتى تمسح هذه الدموع - وظنت أن اليوم لن ينتهي أبدا."

وأثناء فترة بعد الظهر تلقى مكالمة من أنيت ووضع يده فوق بوق السماعة، وقال لكاترين بجفاء:

"عودي الى مكتبك. اريد أن أتكلم مع أنيت."

وسمعته من غرفتها يقول:

"حوالي الثامنة مساء الغد ستأتين بالطعام؟ رائع. سآتي لاصطحابك الى بيتي، اتفقنا؟"

وفكرت كاترين وهي تطل من النافذة أن الامر يبدو حفلة. وتساءلت عما اذا كان جيف مدعوا. ثم استدعاها الى مكتبه، وتابعا عملهما.

انصرفت من الكلية في ذلك اليوم مبكرة، إذ كان عليها أن تقضي الأمسية في عملية تنظيف البيت. واستبدلت ملابسها ببنطلون وسترة وحملت المكنسة الكهربائية معها الى الطابق الاعلى.

وبدأت بغرفة جيف. وترددت خارج غرفة جون: هل اذا دخلت، سيتهمها بالتطفل مرة أخرى؟ وقررت أن تخاطر بالامر، وبدأت بتنظيف المطبخ، وحينما انتهت منه، أحست أنه حتى السيدة كروسبي، ما كانت لتفعل أفضل مما فعلت.

ونظرت الى غرفة الجلوس. وقالت لنفسها إنه إذا كان سيقيم حفلة غدا، فيجب أن تنظف الغرفة، وهكذا نظفتها ورتبتها.

وغرفة نومه؟ وقفت خارجها فترة طويلة: هل يجوز أن تدخل؟ ودفعت الباب: كان السرير مرتبا، لكن الملابس كانت في كل مكان، وترددت مجرد ثوان، ثم انطلقت تعمل بعزيمة.

وبدأت تنظف السجادة، وكانت مستغرقة في عملها، وقد أصمت أذنيها ضوضاء المكنسة الكهربائية، حتى أنها لم تلاحظ جون عندما فتح الباب وجلس مبتسما فوق سريره، وحينما رأته أخيرا أصيبت بصدمة.

وأوقفت عمل المكنسة ونظرت اليه. وقالت:

"أرجو ألا يكون وجودي هنا ضايقك."

"وجدت متعة في مراقبتك وأنت تعملين. وقبل أن تبدئي من جديد، أخبريني، بالتأكيد هذه هي الغرفة التي عشنا فيها مرة .. السرير لم يكن هنا - كان في منتصف الغرفة. وقطع الأثاث كانت منظمة بطريقة مختلفة."

"هذا صحيح."

"لا غرابة في أن هذه الغرفة تضم ذكريات حلوة."

وبدت عيناه حالمتين، وراقب رد فعلها، واحتقن وجهها وانحنت لتقوم بتشغيل المكنسة من جديد. لكنه أوقفها قائلا:

"قبل أن تبدئي، هل تجيدين الخياطة؟"

"نعم، لماذا؟"

ونظرت اليه في ريبة، ورأته يشير بأصبعه الى حافة سترته وقال:

"أخبرني جيف أنك تقومين بتركيب أزراره، هل تفعلين الشيء نفسه معي؟"

"كيف كنت تتصرف وأنت وحدك؟"

"كانت لدي صديقات يقمن بهذا العمل."

"إن لك الآن صديقة مستعدة للمساعدة، أليس كذلك؟ لماذا لا تطلب ذلك منها؟"

"لأنني أطلبه منك، ما هو الرد؟"

وأومأت بالايجاب، وقامت بتشغيل المكنسة مرة أخرى. وحينما كفت عن العمل ورفعت قامتها سمعته يقول:

"هل تعرفين، أصبحت بمرور الوقت أكثر جمالا مما كنت أتصور."

وهزت كلماته أعماقها، وأسقطت من شدة ارتباكها يد المكنسة. وأضاف:

"وسيضيع كل ذلك مع رجل مسن. ما كان يجب أبدا أن أتركك تخرجين من حياتي. كان يجب أن أقاوم بقوة هذا الرجل

الآخر الذي تعلقت به في غيابي. أخبريني: هل كان وسيما، هل أحببته بالعنف نفسه الذي أحببتني به يوما؟"
وحينما فتحت فمها لتجيب، رفع يده قائلا:
"كلا، عدلت عن سؤالي. لا تخبريني. ما من رجل يريد أن يسمع التفاصيل الدقيقة عن خصمه."
وبدا أن احتقان وجهها لكلماته غمره بالرضا. ودفعت المكنسة خارج الغرفة، وأغلقت الباب.
ركبت الزر في وقت متأخر مساء ذلك اليوم. وبينما كانت تدير السترة في وضع أكثر ملائمة، وقعت محتويات الجيوب فوق السجادة. والتقطت القطع والاوراق لتعيدها الى مكانها: كانت محفظته ملقاة على الأرض، وتحتها ظرف التقطته بأصابع مرتجفة. لم تكن تستطيع أن تصدق عينيها. كانت تنظر الى خط يدها. ورأت من التاريخ الذي فوق طابع البريد، أن عمر الرسالة عشر سنوات تقريبا. كانت مرسلة اليه في اميركا .. وكانت واحدة من الرسائل التي كتبتها بعد رحيله عن انكلترا.
وكان اغراء قراءة الرسالة أقوى من أن يقاوم والتهب وجهها وعيناها تجريان فوق الكلمات .. كانت رسالة غرامية محمومة. مكتوبة من أعماق قلبها، الذي كان محطما من الوحدة واليأس والشوق لعودته. وأحست من جديد أنها تشارك الشابة الصغيرة التي كتبت هذه الكلمات منذ عهد طويل، يأسها وحزنها.
أعادت الرسالة الى مكانها، وحملت السترة الى الطابق الاعلى وطرقت باب جون. واستدار عندما دخلت. كان جالسا وراء المكتب يعمل. ومد يده قائلا:
"سترتي؟ شكرا لك."
"أنا آسفة. لكني حين قلبتها، وقع كل شيء منها. كان فيها رسالة."

"أية رسالة؟"
"رسالة قديمة أرسلتها اليك وأنت في اميركا."
"تلك الرسالة؟ إنها لا تعني شيئا الآن، أليس كذلك؟"
وبحث في جيوبه حتى عثر عليها، وتفحص الظرف وقال:
"ربما من الافضل التخلص منها ما لم تكوني تريدينها."
ووضعت يديها وراء ظهرها كما لو كان يعرض عليها شيئا كريها، وقالت:
"كلا، أشكرك. إنها ملكك."
وهز كتفيه ثم ألقى بالرسالة في سلة المهملات. ونفض يديه من التراب، وتابع عمله.
وظلت واقفة هناك، وأخذت شفتاها ترتجفان:
"هل هناك شيء آخر؟ شكرتك على عملك. ألم أفعل؟"
وانهمرت حينئذ دموعها، وقالت:
"أنت وحش بلا قلب."
وشرقت بدموعها، ثم هرعت خارجة من المكتب.

١٠- ... وجاء الربيع

تأخرت كاترين في الاستيقاظ صباح اليوم التالي. تناولت فطورا خفيفا وصعدت الى الطابق الاعلى، وألقت نظرة على مطبخ جون، كانت الاطباق والكؤوس وأدوات الطعام التي استعملت في الحفلة ما زالت أكواما لم تغسل بعد. وكانت تعلم أن غسلها سيستغرق ساعات. وكانت تعلم أيضا ما يجب أن تفعله.

ووجدت مريولا ربطتها حول بنطلونها، وبدأت تغسل وتجفف ومضى عليها في ذلك العمل فترة قبل أن تسمع صوتا يقول:

"إنها تقوم بمهمة الغسل يا جون."

"هذا ما تفعله."

ووقفا يراقبانها وهما نصف مستيقظين، ثم همهم جون:

"تقوم بأعمال إضافية على الآلة الكاتبة من أجلي بلا مقابل. والآن تغسل الاطباق بعد حفلة لم أدعها اليها، أليس لطبيعتك السمحاء حدودا يا آنسة سويل."

"يمكنك أن ترجع ذلك الى حبي كامرأة للنظام وللنظافة."

"هل تعرف يا جيف أن أختك أروع من أن تكون حقيقية. إنني متأكد أن لديها حافزا خفيا. ما الذي تهدفين اليه يا آنسة سويل؟"

قال جيف ساخطا:
"بروش ماسي آخر على ما أعتقد."
واستدارت كاترين ونظرت الى جون مبتسمة وقالت:
"كلا، إنما قرط ماسي يتمشى مع البروش."
وفي حركة سريعة، أصبح جون خلفها، والتفت ذراعه حولها وجذبها الى صدره وقال:
"أيتها الصغيرة الوقحة. سأبدأ تصديق ما يقولونه عنك في الكلية من أنك مولعة بالمال."
وراقب جيف أخته وهي تناضل عبثا لتحرر نفسها، ورأى جون يضحك ويحكم قبضته عليها وقال:
"تعرف يا جون. لو لم أكن قد رأيتك الليلة الماضية تقبل أنيت في ركن مظلم، لظننت أن هناك شيئا ما بينك وبين أختي.

وترنحت كاترين، وتركها جون في الحال. وتقدم من جيف مهددا:
"أنت يا سيد جيفري تسرد الروايات كما تسمعها. لو كنت مكانك لما فعلت. فقد يحدث ذلك ضررا يتعذر اصلاحه."
"لكني لم أذكر سوى الحقيقة."
"الحقيقة أحيانا، ليست حقيقة يا صديقي."
كانت تمارين المسرحية تسير على ما يرام. وكان ماكس أحيانا يذهب الى بيت كاترين، لمراجعة دوريهما.
وتعمد جون ألا يكون أثناء حضور ماكس الى البيت. كان لا يكاد يسمع صوت ماكس، حتى يخرج قبل أن تغلق كاترين باب غرفتها.
وفي صباح أحد أيام الاثنين، استدعاها جون الى مكتبه. كان مزاجه حادا لا يحتمل، ولاحقها بسخريته، وانتقد كل شيء قالته أو فعلته، ثم جلس ممسكا رأسه فبادرته بقولها:
"هل هناك ما أستطيع أن أفعله؟ إن في حقيبتي أقراصا

مثل الأسبرين. لكنها أفضل."
"إنني أقبل أي شيء للتخلص من هذا الصداع الرهيب فضلا عن الآلام في حلقي."
ووقفت، ولاحظت اقتراب موعد تناول القهوة، واقترحت أن يأخذ الأقراص معه عندما يذهب الى غرفة الطعام..
وكانت عيناه ثقيلتين عندما تطلع اليها قائلا:
"هل يمكنك أن تحضري لي القهوة؟"
وعادت اليه بالقهوة قبل أن يتبين أنها ذهبت. وأخرجت قرصين من الزجاجة في ملعقة الشاي، وناولته الدواء وقالت:
"إذا كنت متعبا للغاية فلماذا لا تذهب؟"
"يجب أن أبقى هنا. عندي اجتماع بعد الظهر."
"لكنك بالتأكيد لن تذهب اليه."
"بالطبع سأذهب. اذهبي الى مكتبك. أريد بعض السلام."
وخرج ولكن الى بيته لانها عندما وصلت وجدت سيارته، وسمعته يتحرك في غرفته."
ونادت وهي تصعد السلم:
"جون، هل أستطيع مساعدتك في شيء؟"
وظهر على باب غرفة نومه وقال:
"سآوي الى فراشي."
وأغلق الباب.
"ألا آتي لك ببعض الطعام؟ أو بكوب من الحليب الساخن؟"
وفتح الباب ثانية:
"اذهبي فقط ودعيني وحدي. ألا تعرفين متى تكونين غير مرغوب فيك."
وأحدث اختياره للكلمات غصة في حلقها. لكنها ابتلعتها وحاولت من جديد:
"شراب ساخن يساعدك على النوم."
"إذا كنت مصرة، فسأشربه من أجل الهدوء والسلام."

وأعدت له كوب الحليب الساخن، وهرعت هابطة الى الطابق الاسفل. وأحضرت الاقراص وعادت اليه مسرعة.

"الحليب جاهز يا جون. هل أدخل؟"

وكان رده بصوت خافت مكتوم. ولذلك جازفت ودخلت. كان نصف جالس ونصف ممدد على السرير، شاحب الوجه.

"صداع شديد يا جون؟"

ولم يرد. مد يده فقط ليأخذ الكوب والاقراص، وأعاده اليها فارغا. ومال الى الوراء، وأغلق عينيه.

"ألن ترقد يا جون؟"

وتمدد. واستدار على جنبه، وأحكمت وضع الاغطية فوق كتفيه كما لو كان طفلا. ووقفت تنظر اليه بقلب محطم. ثم انصرفت، وسمعت وهي تغلق الباب ما فسرته على أنه كلمة شكر خافتة.

نهضت كاترين مبكرة في صباح اليوم التالي وتوجهت الى الطابق الاعلى قبل أن تغادر البيت، لتسأل جون عما اذا كانت لديه أية رسائل لها. وبحثت عنه في كل مكان ولم تعرف أنه خرج.

وعندما وصلت الى الكلية، وجدته أمام مكتبه كالعادة.

"تأخرت .."

"أنا آسفة، اعتقدت أنك ستبقى اليوم في البيت، ولذلك .."

"ولذلك انتهزت الفرصة لتتأخري."

"بالطبع، لا. فاتني الاوتوبيس لأنني صعدت الى الطابق الاعلى لرؤيتك ولمعرفة ما اذا كنت تريد شيئا. لكنك كنت قد خرجت."

توقفت قليلا ثم قالت:

"أليس من الافضل وجودك في البيت يا دكتور رايت؟ أخشى عليك من المضاعفات اذا لم تعط نفسك الراحة المطلوبة ..."

"عندما أحتاج الى نصيحتك، أطلبها. أما الآن فإنني

أريد إنجاز بعض العمل، اذا لم يكن لديك مانع."

ورجع الى البيت مبكرا عن موعده عشر دقائق، وحينما عادت كاترين، كان قد آوى الى فراشه. لكنها هذه المرة لم تقترب منه - شربت الشاي وخرجت لاداء تجربة المسرحية، وبعد ذلك اصطحبها ماكس لتناول القهوة، وكان الوقت متأخرا حينما أعادها الى البيت. وقابلها جيف في الصالة.

"أين كنت طوال هذا الوقت؟ سأل جون عنك مرارا. حتى أنا لم أعرف أين كنت."

"كنت في تجربة المسرحية، ثم تناولت القهوة مع ماكس. لماذا يجب أن أقلق على جون؟ أهانني كثيرا هذه الأيام حتى انني قررت أن ابتعد عن طريقه. وتستطيع أن تخبره بذلك على لساني."

صباح اليوم التالي كانت تعلم أنه أمام مكتبه. وانتظرت استدعاءه إياها، لكنه لم يفعل. وقررت الدخول دون أن يطلبها، وبينما كانت تغلق الباب، رفع بصره وقال:

"ماذا تفعلين هنا؟ اعتقدت أنك ستبتعدين عن طريقي."

وبدت مشدوهة فعاد يقول:

"سمعت ما قلته الليلة الماضية. لقد أيقظتني من النوم."

"أنا آسفة."

وتراجع الى الوراء في مقعده، وتأرجح من جانب الى جانب .. وقال:

"أنا آسف على إهانتي، ولكن كما سبق أن أخبرتك، ذلك هو أنا. وإذا كنت عاجزة عن تحملي، فمن الافضل أن تحاولي البحث عن سكرتيرة أخرى لتعمل معي."

وعبرت الغرفة، وجلست على مقعدها غاضبة، وفتحت مفكرتها، وقبضت على قلمها بشدة، وراقبها وانتظر ثم قال:

"حينما تهدئين سأبدأ"

وتزاحمت في ذهنها كل الاوصاف التي خلعها عليه

ماكس في الماضي· وبدأت تفهم شعور ماكس تجاهه·

وقطع صوته أفكارها المتجردة· قال بنعومة:

"هل تكرهينني؟"

"لكن لماذا يا جون، لماذا؟"

ولم يرد· وسيطرت على دموعها وقالت:

"لننس ذلك· دعنا نبدأ العمل·"

كان العام يتحرك ببطء نحو فصل الربيع· وتحسن الجو، وبدأت الشمس تدفىء الارض - وأحست كاترين بشعور جديد وهي تهبط درجات السلم صباح السبت في طريقها الى السوق· وكانت قد تجاوزت في سيرها سيارة جون، حينما سمعت صوتا يناديها من النافذة العلوية، واستدارت ورأت جون·

"أذاهبة الى السوق؟ انتظري لحظة، سأوصلك·"

وأوشكت أن تتجاهله، لكنها عدلت، إذ لم تشأ أن تكلفه مشقة هبوط السلم بلا فائدة، وهي التي كانت تعلم أنه شفي لتوه· وزحفت تنتظره بجانب سيارته· وأقبل من البيت والكلب في أعقابه· وأجلسها على المقعد الأمامي بينما فتح لفلوب الباب الخلفي وانطلق الكلب يتشمم في مودة عنق كاترين التي ضحكت ورفعته بعيدا ··

"كنت خارجا على أي حال· لذلك فكرت في أنني يمكن أن أوصلك·"

"هل تشعر بتحسن؟"

"نعم، أرجو ألا أكون قد نقلت اليك العدوى·"

"أشك في ذلك· يبدو أنني لا ألتقط أبدا عدوى البرد من الآخرين·"

"اتمنى أن تكوني على صواب، من أجلي· فأنا لا أستطيع الاستغناء عن سكرتيرتي لمرضها· لدي في الوقت الحاضر عمل كثير للغاية·"

قالت ساخرة:

"أشكرك على هذه الافكار الطيبة·"

ووقف عند حافة الطريق وقال لها:

"انزلي بسرعة· هنا خط أصفر مزدوج، ولست أريد أن أسمع ملاحظة من شرطة المرور·"

وخرجت من السيارة· ولمحت ماكس ونادت عليه وهي ممسكة بباب السيارة مفتوحا، والتفت هو في الحال· ومد يده في اتجاهها هاتفا:

"مرحبا يا جميلة ··"

"انتظرني يا ماكس· إنني ذاهبة الى السوق· لعلك تستطيع أن تحمل عني حقيبة المشتريات·"

"بالطبع، وبعد ذلك نستطيع أن نشرب القهوة معا·"

"أعتقد أنك ستحتاجين الى حقيبة يدك·"

وجعلها الصوت الجاف تلتفت الى الخلف نحو جون· وانحنت، وأخذت حقيبتها قائلة:

"أشكرك على توصيلي·"

واستمتعت كاترين بالتجول مع ماكس في المحل الكبير الذي كانت الخدمة فيه ذاتية·

وعرفت كاترين صاحبة الصوت دون أن تلتفت· وعرفت أيضا أنها كانت حتما ستتجاهلها، لو لم تكن بصحبة هذا الشاب الوسيم ··

"صباح الخير يا آنسة لينتون· لا أعتقد أنكما الاثنين التقيتما من قبل· هذا هو ماكس روتلاند، ابن العميد، وهذه هي أنيت لينتون، مديرة قسم التدبير المنزلي في الكلية·"

وهكذا تم اللقاء الاول بين ماكس وأنيت الذي انتهى باعجاب متبادل بين الطرفين وبتصميم أنيت على ايقاع ماكس في شباكها·

نهضت كاترين في اليوم التالي خاملة وكئيبة،

وشعرت بآلام في حلقها وبصداع· وعندما التقت جيف قالت له: "كنت أعرف أنه سينقل الي العدوى·"

وقال جون الذي كان يقف خارج حجرة جيف:

"نقلت اليك ماذا ؟"

ووالتفتت اليه بيدها فوق حلقها:

"أصبت بعدوى البرد ؟"

وألقى برأسه الى الخلف وضحك بصوت مرتفع، وقلد صوتها قائلا:

"إنني لا ألتقط أبدا عدوى البرد من الآخرين·"

وأثار حنقها افتقاده للتعاطف معها وهي في قمة مرضها، وقالت:

"سيجزيك تماما انقطاعي عن العمل·"

"إذا كنت قد استمررت في العمل، فلماذا لا تفعلين ؟"

وأطلقت صرخة سخط، ونزلت الى الطابق الاسفل، وسمعت جيف يقول:

"إنها قلقة يا جون بسبب المسرحية التي ستعرض يوم الاربعاء·"

"هل هذا كل ما في الامر ؟ إن لها بديلة، أليس كذلك ؟"

وازدادت حالة التهاب حلقها سوءا· وأوت الى فراشها مبكرة في تلك الليلة·

نهضت من نومها صباح الاثنين وهي تشعر بالتعب· وسمعت طرقة على الباب ·· ثم صوت جون يقول:

"نظرا لحالتك، هل أستطيع توصيلك ؟"

"كلا، شكرا·"

ولم يعرها جون اهتماما طوال اليوم· توقع منها أن تحتفظ بمستواها المألوف في الكفاءة وحينما كانت تشرد، كان ينبهها دون رحمة·

وازدادت حالتها سوءا· وبدأت تعطس، وظهر عليها

الوهن بصورة واضحة أقلقت جيف، فحثها على الذهاب الى فراشها، وعرض أن يقدم لها كوبا من الحليب الساخن، فقبلت بسرور· وأثناء انتظارها نهضت من سريرها بحثا عن الاقراص، وأخرجت من الزجاجة قرصين·

"هذا هو الحليب يا كات·"

واستدارت لترى جون واقفا في وسط الغرفة، وعادت بسرعة الى سريرها، وجذبت الأغطية فوقها وقد احتقن وجهها، وتهدل شعرها·

وضع كوب الحليب بحرص على المنضدة الصغيرة قرب السرير، ثم وضع يده على جبهتها، وقال:

"إن درجة حرارتك مرتفعة بعض الشيء· ولكن هذا متوقع - إذا كنت تشعرين بما كنت أشعر به· فلا بد أنك تعانين للغاية·"

وكانت تعابيره حانية !

"أشكرك على إحضارك الحليب يا جون، طلبت ذلك من جيف·"

"أردت أن أرد لك الجميل· اشربي ··"

وأطاعته، بينما أخذ هو يتجول في أرجاء الغرفة، ملتقطا قطع الزينة والصور، ومتفحصا اياها عن قرب·

ووقف قرب السرير، وتأملها شارد الفكر· وارتفع كتفاه، ثم سقطا في حركة يأس·

وتمددت كاترين وأغلقت عينيها، وانحنى وأحكم الأغطية فوقها مثلما فعلت معه· نظرت اليه وابتسمت· كانت الابتسامة التي رد بها عليها أحلى ما رأت في حياتها·

١١- ماكس وأنيت

"لماذا جئت هذا الصباح يا آنسة سويل؟"

قفزت كاترين عند سماعها صوت جون المهذب، وألقت نظرة خاطفة الى وجهه بحثا عن لمحة حنان كتلك التي لمحتها الليلة السابقة. لكنها لم تجد سوى الجمود.

"جئت لأعمل على ما أعتقد، هل هناك شيء آخر؟"

"لست في حالة تسمح لك بالعمل."

"كما قلت أنت نفسك. إذا كنت قد استطعت ذلك .. فأنا أيضا أستطيع."

تأملها بإمعان لحظة، ثم قال:

"الآن عرفت. الليلة بلا شك التجربة الاخيرة للمسرحية. وما كنت تستطيعين حضورها إذا لم تأت للعمل."

"لا أريد أن أخذلهم."

"هل هذا هو الدافع، أم أن ماكس هو السبب؟"

"أنت حر في أن تفكر بما تشاء؟ إذا أخبرتك أنني جئت لأنني تذكرت المؤتمر الذي سنحضره الاسبوع القادم، وتبينت أن علينا أن ننجز أعمالا كثيرة، ما أظنك تصدقني."

"هناك من يمكنه القيام بعملك."

ورفعت نحوه عينين مرهقتين وقالت:

"ألا نستطيع أن نوقف هذا الجدل ونبدأ العمل؟"

واستغرقا في العمل حتى حان وقت تناول القهوة، وأخبرها جون أنه سيسير معها الى غرفة الطعام - وكان عليه أن يبطىء حتى لا يسبقها.

"أنا آسفة يا جون. لا أستطيع السير بسرعة."

"لماذا جئت؟ أفكر بأن أحملك الى سيارتي، وأعود بك بالقوة الى البيت."

وافترقا ليذهب كل واحد الى مائدة منفصلة..

وانضمت كاترين الى جيل وصديقاتها. واستدار الجميع عندما قالت أنيت وهي تجلس قرب جون:

"عزيزي جون، شرفتنا بحضورك هذا الصباح."

وهمست جيل:

"كيف يطيقها؟ لقد فازت به."

"هل أخبرتك الآنسة سويل عن حفلتي؟"

"نعم، أخبرتني."

"ستأتي يا جون، أعرف أنني لست بحاجة الى دعوتك، لأنك دائما في مقدمة الموجودين كأنك جزء من الاثاث."

وتظاهر بالغضب وقال:

"إذا كانت هذه نظرتك الي .."

"بالطبع لا يا حبيبي .."

وأطفأ جون سيجارته ونهض، ونظر الى كاترين قائلا:

"هل ستأتين يا آنسة سويل؟"

واحتقن وجه كاترين للمباغتة، ورشفت بسرعة ما تبقى من قهوتها. وأدركت وهما يسيران معا نحو الباب، أن عيني أنيت كانتا تتابعانهما، وأدركت أيضا أن أنيت لن تأخذ تصرف جون ببساطة.

وجلست كاترين في مواجهة جون، وقالت:

"قبل أن أنسى، طلب مني فرنسيس أن أتأكد من أنك

حصلت على بطاقتين لحضور المؤتمر الأسبوع القادم. وهل يستطيع هو أخذهما؟ وبحث جون في أحد الأدراج وقال:

"نعم، ها هما."

وقذف بهما اليها قائلا:

"من الأفضل أن يحتفظ بهما، سأكون مشغولا للغاية هناك، ولن ترياني كثيرا."

واسم الفندق؟"

"الأبراج - كل المشتركين في المؤتمر حجزنا لهم."

ذهبت كاترين لرؤية فرنسيس. وأقبل هو نحوها حينما وقفت في الباب.

"يبدو عليك المرض يا عزيزتي. هل كان من الضروري حضورك؟"

"يجب أن أستمر في الخروج يا فرنسيس، فالمسرحية مساء الغد."

"لكنك لست في حالة تسمح لك يا كاترين بذلك. أقترح عليك يا عزيزتي أن تأتي معي الى البيت هذا المساء، وأن تتناولي وجبة ساخنة، سيكون ماكس موجودا، ويمكنك أن تتحدثي معه في شأن المسرحية."

قال جون وهو يوقع بعض الرسائل:

"لا بد أن تعودي الى البيت مبكرة. تبدين نصف ميتة."

"لا أستطيع، إنني ذاهبة لتناول الطعام في بيت فرنسيس. ومن هناك الى التمرين مع ماكس."

أخرج جون سيكارة، وأشار اليها بالخروج، فانصرفت.

ذهب فرنسيس اليها في الساعة الخامسة - ونظرت في مرآة غرفة الملابس. وتجهمت فقد كانت تبدو مريضة للغاية.

قال فرنسيس وهما في الطريق الى بيته:

"تحتاجين يا عزيزتي الى الرعاية - كيف يمكن أن تذهبي الى تجربة المسرحية؟ يبدو أنك لن تقدري على التمثيل

غدا أليست لك بديلة؟"
"نعم، بالطبع. ولكن ليس من العدل أن أتخلى عن ماكس والآخرين."
"إن شعورك بالواجب شديد للغاية. لكن ليس هناك أحد لا يمكن الاستغناء عنه."
وقال ماكس:
"لن تتمكني الليلة من أن تشتركي في التجربة. وأنا بصراحة أشك في أنك ستقدمين على التمثيل غدا - هيا يا كاترين، ارضخي إن مورين موجودة كبديلة لك، وهي جيدة."
وابتسمت واستأذنت في الانصراف وهي تمسح دموعها وتأكدت عند وصولها الى غرفتها أنها لن تستطيع أن تؤدي دورها في المسرحية.
وأحست بتحسن كبير صباح اليوم التالي. وحينما دخلت مكتبها، فوجئت جيل برؤيتها:
"لماذا جئت يا كات؟ إنني أعمل بدلا منك يا عزيزتي .. لا بد أنك روضت رئيسك، فقد وجدته هذه المرة أكثر سهولة في العمل. ماذا فعلت له؟ أم تراه تأثير أنيت؟"
"لست أدري، بالمناسبة أين الدكتور رايت؟"
"في اجتماع في لندن. ولن يعود اليوم - وقد قال إنك إذا كنت من الغباء بحيث تجيئين، فما عليك إلا أن تجلسي وأن تتجملي. وقال أيضا إنك تستطيعين دخول مكتبه وفعل أي شيء تحبينه باستثناء وضع قدميك فوق مكتبه."
وبعد الظهر، ذهبت لرؤية فرنسيس الذي قال إنه مسرور جدا لتحسن حالتها.
"هل شاهدت المسرحية يا فرنسيس؟ هل كانت جيدة، وهل أحسن ماكس القيام بدوره؟ كيف أدت بديلتي الدور؟ لم تتح لي بعد فرصة سؤال أحد عن ذلك."
"اجلسي يا عزيزتي، وسأحاول أن أرد على كل أسئلتك.

نعم، المسرحية كانت جيدة، وماكس كان ممتازا - وقامت بديلتك بالدور على خير وجه. أعتقد أن ماكس ساعدها في ذلك، وبرغم أنه ابني، فانني يجب أن أعترف بأنه ممثل قدير."
وكان ماكس قد بعث اليها برسالة يخبرها أنه سيمر عليها مساء السبت ليصطحبها الى حفلة أنيت.
"هل يضايقك أن أذهب يا فرنسيس؟"
"اذهبي يا عزيزتي. مثل هذه الحفلة ليست على مزاجي على الاطلاق."
وأوصلها فرنسيس الى البيت، لكنه لم يدخل معها. ولوح لها وانطلق. أحست كاترين ببهجة غريبة لذهابها الى الحفلة. وارتدت ثوب السهرة الوحيد الذي تملكه - كان من الساتان الحرير الابيض، وذا رقبة ملتفة حول العنق. وفتحة منخفضة في الظهر، مظهرا كتفيها الأملسين الناصعين ومتيحا لشعرها أن يتأرجح في حرية، وأن يلمع حول عنقها.
وشبكت في صدر الثوب البروش الماسي، وأحست بشيء من التحدي وهي تتأمل باعجاب بريقه الاخاذ: لماذا لا تضعه؟ لا حاجة بها الى إخبار أحد عمن أهداه اليها. تستطيع أن تقول إنه مجرد صديق للأسرة، صديق قديم، صديق حميم.
وخطف البروش بصر ماكس بمجرد أن فتحت كاترين الباب.
"ما هذا؟ هل لك عم ثري؟ لقد دللك من أهداك إياه."
"نعم، عم ثري، هذا صحيح."
ورمقها بفضول، وقال:
"أين معطفك؟"
ووضعت حول كتفيها وشاحا من الدانتيل الأبيض، وارتدت معطفها بمعاونة ماكس وقالت:
"ذكرتني أنيت بضرورة حضورك يا ماكس. ألا يرضي ذلك غرورك؟"

ابتسم قائلا:
"بالطبع، حظي غرور رجولتي بانحناءة شكر، لكني كنت سأشعر برضا أكثر لو كنت أنت التي قلت ذلك".
قالت هيلين:
"هل يمكنك انتظارنا يا ماكس؟ تأخرت كالعادة".
"يسعدني أن أوصلك يا هيلين".
"سأخبر جيف. أرجو أن يكون مستعدا".
لم تكن المسافة الى شقة أنيت بعيدة. واستقبلتهم على عتبة الباب، رائعة المظهر في ثوب من المخمل الأحمر ملتصق بجسدها. وكان شعرها الأسود معقوصا الى الخلف بوشاح أحمر شفاف، وتدلى من أذنيها الصغيرتين قرط ذهبي طويل، والتفت حول معصميها أساور ذهبية.
ورأت عيناها ماكس فقط. وعقدت ذراعها في ذراعه، وطلبت من السيدتين أن تذهبا بنفسيهما الى حيث تعدلان من زينتهما.
وأصلحتا من زينتهما في المرآة الثلاثية لمنضدة الزينة، ثم انضمت هيلين الى جيف في غرفة الجلوس، تاركة كاترين واقفة وحدها. وبحثت في الحجرة عن جون، ورأته مستندا الى الحائط على مقربة من المدفأة، واستقرت عيناه فوقها عندما تحركت الى وسط الغرفة. وراقبها وهي تقف هناك في خجل وقلق. ولكنه لم يتحرك للذهاب اليها. واستجمعت آخر الامر بعض الشجاعة، ومشت في اتجاه ماكس. ففي هذه اللحظة كان بالنسبة اليها شاطىء الأمان، وشعرت بالامتنان حينما ارتفعت يده نحوها كما لو كان قد أحس بخجلها.
كانت مائدة العشاء متعة للعيون وللشهية وجلست كاترين قرب ماكس، وهما يتذوقان ألوان الطعام اللذيذة التي ابتكرتها أنيت وقالت كاترين لنفسها وهي تحتسي ثاني فنجان من القهوة: "لا غرابة في أن جون يأتي كثيرا الى

هنا لتناول الطعام".
وقالت هيلين:
"إنها ليست رئيسة قسم التدبير المنزلي عبثا".
وبدأت أنيت تتكلم عن دور ماكس في مسرحية الطلبة. وبحثت كاترين عن جون فلم تجده، وبرغم أنها كانت محاطة بالناس، فقد شعرت بوحدة غريبة.
ثم اختفت أنيت، ووجدت كاترين صعوبة في متابعة المناقشة الدائرة حولها: أين ذهبا؟ ماذا كانا يفعلان؟"
وقطع صوت ماكس حبل أفكارها:
"انظري ماذا فعلت؟ لقد سكبت القهوة على سترتي".
قالت احدى المدعوات:
"لدى أنيت منظف لذلك. عليك أن تبحث عنها. ليست موجودة هنا".
وأمسك ماكس بيد كاترين، وأنهضها قائلا:
"تعالي يا زوجة أبي لتنظيف ملابس صغيرك".
ولاحقتهما الضحكات حتى خرجا من الغرفة. وعندما استدارا في الصالة، كان جون يبتعد عنها. ورمقها ماكس بنظرة غريبة، وقال:
"آسف على المقاطعة يا أنيت، ولكننا أخبرنا أن لديك منظفا لبقع القهوة".
"نعم .. بالطبع يا ماكس - إنه على منضدة الزينة في غرفتي، والزجاجة مكتوب عليها سائل منظف. استعملتها هذا المساء. هل أنظف لك البقعة؟"
"كلا، لا أحب افساد متعة الآخرين".
وقال وهو يرمق جون بنظرة ماكرة:
"سآخذ فتاتي لتقوم بهذه المهمة. إنها تفعل كل ما أريد. أليس كذلك يا جميلة؟"
قالت أنيت:

"الآن، الآن يا ماكس. إذا كان ذلك ما في ذهنك، فمن الأفضل أن تغلق الباب. وأنا واثقة بأن كاترين لن ترحب بمقاطعتي."

"هل تسمعين ما قالت؟ من الأفضل أن نأخذ بنصيحتها ونغلق الباب."

وما كاد ماكس وكاترين يتجهان ناحية غرفة النوم، حتى أحاطت أنيت بذراعيها عنق جون. ورفعت رأسها. لكن جون نزع يديها، واستدار بحدة وذهب الى غرفة الجلوس، تاركا إياها واقفة وحدها في الصالة.

واتجه جون نحو الغرفة التي كان فيها ماكس وكاترين. وسمع ماكس يقول: يجب أن يزول الاثر حتى لا يراه أحد. فظن ان علاقة حميمة نشأت بين الفتى وكاترين. فانهال عليها بالشتائم برغم أنها فعلت المستحيل لاقناعه بأن ظنونه ليست في محلها. وعندما خرج ماكس، ولاحظ الدموع في عينيها سألها عن السبب وأخبرته، ثم أطرقت قليلا وقالت:

"ماكس هناك أمر أخفيه عنك. ان جون هو زوجي السابق."

"وهل ما زلت تحبينه؟"

"أعتقد ذلك."

وصلت كاترين الى البيت مرهقة وحزينة، وأدركت أنها يجب أن تتصل هاتفيا بفرنسيس.

"فرنسيس، إنني كاترين."

"كيف حالك؟ هل استمتعت بسهرتك؟"

"جدا، أشكرك."

"سأخرج بعد دقائق، فقد دعيت لقضاء الامسية في بيت جورج كريسويل. وقد شرحت له أنك قد تكونين متعبة بحيث لا تستطيعين مرافقتي."

"أنا مسرورة لاعتذارك عني."

"أشك في إمكان رؤيتي إياك يوم الاثنين فإنني سأقضي عطلة نهاية الاسبوع في ضيافة أخي."

"فكرة جيدة، أتمنى لك قضاء وقت طيب."

"أشكرك. والى اللقاء."

"الى اللقاء."

وعندما جلست في المقعد المجاور للمدفأة استعرضت شكوكها واحدة بعد الأخرى. وأدركت باقتناع كامل أنها لا تستطيع أبدا أن تتزوج فرنسيس ويجب أن تطلعه على هذا القرار.

١٢- الاعتراف!

وعندما وصلت الى الكلية صباح اليوم التالي، كانت تعلم أن جون سيكون موجودا في مكتبه. واستعادت اللحظات التي عاشتها معه. وخفق قلبها.

وانتزعها رنين الهاتف الداخلي من أحلامها. كان جون يستدعيها الى مكتبه. وابتسمت عندما ظهرت على بابه. لكنه قال دون أن ينظر اليها:

"اجلسي .."

"بكرت في العودة يا جون."

"نعم."

"هل أمضيت عطلة لطيفة؟"

"نعم، من فضلك اجلسي."

ورفع عينيه عن المكتب، كان عابسا:

"هل ثمة ما يتعبك؟"

"لا، لا شيء."

"قررت أن أترك منزلك بمجرد العثور على شقة مفروشة. لقد حصلت على تفاصيل واحدة تبدو مثالية بواسطة البريد هذا الصباح، وسأذهب لرؤيتها هذا المساء."

"هل آخذ هذا الكلام على أنه إنذار بالاخلاء، ماذا عن الاتفاق مع جيف؟"

"انه على استعداد لقبول مبلغ إجمالي كتعويض."

"فعلتما ذلك دون استشارتي؟"

"أذكر أنني منذ مدة ليست طويلة، اضطررت بعد جهد الى إقناعك بقبولي في بيتك. والآن تعارضين خروجي."

وارتفع رنين الهاتف الداخلي، ولم تبذل كاترين أية محاولة للرد. كان اليأس قد شلها. لم تستطع أن تفهم تصرفاته المتناقضة.

قال جون يخاطب أنيت في الهاتف:

"المؤتمر؟ نعم، شكرا، استمتعت به."

ونظر الى كاترين واستطرد قائلا:
"كلا، ليست عاطفية. إنني لا أتورط أبدا مع أية امرأة. أستطيع أن أحضر إليك هذا المساء. لكني ذاهب أولا للتفرج على شقة يمكنك المجيء معي. سأمر بك في الخامسة."
ووضع السماعة قائلا:
"الآن، أود أن أنجز بعض العمل."
"هناك حدود لاحتمال كل شخص. وقد وصلت أنا الى ذلك الحد. عليك أن تجد موظفة أخرى لتقوم بالعمل معك. سأبحث عن وظيفة أخرى."
وذهبت كاترين الى فرنسيس. وبمجرد دخولها الغرفة، أحست بتوتر الجو، وأشار الى مقعد قائلا:
"اجلسي من فضلك. مساء الجمعة، كما تعرفين - زرت صديقي جورج كريسويل وزوجته. بالمصادفة ذكرت لهما أنك مسافرة لمدة أيام. الى أين، ومع من، وحينئذ تساءلت السيدة كريسويل عما اذا كان ذلك هو الرجل الذي كنت متزوجة إياه منذ سنوات، والذي حصلت منه على الطلاق. وطلب منها زوجها ألا تذكر المزيد. وقال إنه متروك لخطيبتي أن تخبرني الحقيقة. فهل لك أن تخبريني؟"
"إنني آسفة. إنها الحقيقة. لقد كنت أنوي إخبارك، خاصة حينما حدثني ماكس عن موقفك من الطلاق."
"كم من الوقت دام زواجك؟"
"استمر زواجنا الحقيقي ستة أشهر. لكنه استمر اسميا حتى انقضى الوقت الضروري لاقامة دعوى الطلاق. وقد أمضيت السنوات التالية نادمة على قراري طلب الطلاق."
ونزعت الخاتم من إصبعها وقالت:
"إن خطبتنا يجب أن تنتهي .."
"أنا أيضا كانت لي شكوكي منذ فترة. رأيتك مع ماكس، وجعلني ذلك أقلق لفارق السن بيننا."

"سأقدم استقالتي."
"أعتقد أن سبيلك الوحيد هو الاستقالة بأسرع ما يمكن، وترك العمل بعد انتهاء فترة الخدمة المحددة."
نهضت، وخلعت الساعة من معصمها.
"ما كنت أحلم بالاحتفاظ بهذه. أشكرك."
وتهالكت كاترين على مكتبها. ها هي منبوذة في يوم واحد من جون ومن فرنسيس. واستبدت بها فكرة واحدة: تبتعد بأقصى سرعة ممكنة عن مكان عملها. وجلست تضرب على الآلة الكاتبة كتاب استقالتها الذي ذكرت فيه أنها تفضل أن تدفع راتبها غرامة بدلا من الالتزام بفترة الانذار.
وعادت الى البيت وتناولت غذاء خاطفا، ثم خرجت من جديد وكانت تدرك ما يجب عليها أن تفعله. كان في المدينة مكتب سكرتارية يمكن أن يمدها بالمعلومات عن الوظائف الخالية. وخاب أملها إذ لم تجد شيئا يناسبها، ولكن حينما سمع المسؤولون عن مؤهلاتها وخبراتها أكدوا لها أنها حتما ستجد في القريب العاجل ما يلائمها، وبناء على طلبها، وأعطوها عددا من الاستمارات لتملأها وعادت بها الى البيت.
وبتصميم على أن تبتعد عن جون قدر الامكان، جلست تقرأ وتعيد قراءة استمارات الطلبات التي أعطيت لها - ثم بدأت تكتب. وتوقفت للراحة وتحرك فلوب ووضع رأسه في حضنها. وربتت عليه.
ووقف الكلب متيقظا مرة واحدة، وركض الى الصالة. عاد جون وبادرها قائلا:
"لا شك أنك اعتبرتها دعابة أن تتخلي عني دون كلمة تحذير أو تفسير. كيف يمكنني أن أنجز كل العمل المتراكم دون معاونتك؟"
"قدمت استقالتي هذا الصباح. طلب مني العميد ذلك."
"ما الجريمة التي ارتكبتها؟"

"لانني متزوجة منك، والجريمة الأعظم أنني مطلقة."
وتأمل الاستمارات التي كانت قد ملأتها، وسأل:
"ماذا تظنين أنك ستفعلين بها؟"
"علي أن أبحث عن عمل لأنني محتاجة الى النقود. والآن، أنا أنوي العمل في الخارج بصفة مؤقتة. وأرجو أن تسمح لي بإعطاء اسمك حينما يسألون عن الشخص الذي يرجعون اليه طلبا للمعلومات."
"افرضي أني لم أفعل."
رفعت كتفيها وقالت:
"في هذه الحالة لن أتمكن من الحصول على عمل."
"قررت إذن أن تفترقي عني؟"
"كما قلت عن نفسك هذا الصباح. أنا كذلك حرة."
وتهدج صوتها، وامتدت يدها الى أسفل حيث قبع الكلب. وقالت:
"سأكون ممتنة إذن إذا اعتبرت نفسك منذ الآن فصاعدا مجرد مستأجر. وليس حارسي، أو زوجي السابق، أو صديقي أو رئيسي."
وبصوت هادىء قال جون:
"هل من عادتك أن تضعي آلاف الأميال بينك وبين الرجل الذي تحبينه؟"
"ماذا يهم؟ انه لا يحبني."
"هل سألته؟"
وظلت بلا حراك. ووقف هو، وقال بصوت ملح:
"إذا لم تتوقفي عن الامساك بكلبي كأنه طوق النجاة لتأتي الي برغبتك، فلسوف أنتزعك بعيدا عنه."
ونهضت، واستدارت في اتجاهه، وتشبثت به بكل قواها.
وضمها بقوة ونظرت في عينيه، ورأت فيهما عمق حبه لها، فقالت:

"جون، لقد عدت بعد كل هذه السنين .."
"نعم يا زوجتي الحبيبة، وهذه المرة لأبقى."
وقادها الى الاريكة، وجلسا في صمت حتى بدأ جون يتكلم:
"أمضيت عطلة نهاية الاسبوع في حالة بؤس لا تصدق، أتحدث عنك. أفكر فيك، أحبك، أريدك، وقد عدت مبكرا لأني لم أحتمل فراقك."
"جون، المرات التي مزقت فيها قلبي إربا، تلك الرسالة .."
وقاطعها قائلا:
"تلك الرسالة يا حبيبة قلبي موجودة في محفظتي. هل اعتقدت حقا أنني يمكن أن أفعل شيئا بشيء غال لدي؟"
"لماذا تظاهرت يا جون؟"
"لاستفزازك لاظهار عواطفك نحوي. أخبرني جيف أنه يعتقد أنك ما زلت تحبينني."
"متى؟"
"تلك الليلة التي ذهبت فيها الى أول تجربة للمسرحية. قابلتك على باب الحمام، تذكرين؟ ... كنت لغزا. أحيانا كنت تبدين بريئة للغاية، وأحيانا أخرى كنت تبدين ماكرة. وبحكم كوني عالما، بدأت ألاحظ وأحلل كل حالة. أغلقت قلبي، وحاولت أن أحكم عليك بلا عاطفة. أمر صعب للغاية بالفعل يا حبيبتي، حينما يكون الشخص الموضوع تحت الملاحظة، هو نفسه الشخص الحبيب. ولكني كنت أعرف أنها الطريقة الوحيدة للوصول الى الحقيقة."
وران عليهما صمت فترة. ثم استدارت بين ذراعيه، ونظرت بجدية في عينيه وقالت:
"ماذا عن أنيت؟"
"إنها يا حبيبتي ليست ما تتمنى أن تبدو عليه."
"ولكن سمعتها يا جون؟"
"أمثالها يشيعون عن أنفسهم هذه السمعة لاخفاء قصورهم."

وعاد يهمس:
"كات، دعيني أبوح لك بسر. لست منحوتا من حجر كما قلت لي مرة. إن لي قلبا وهو يخفق بقوة وبسرعة. يمكنك أن تحسي بذلك."
وأمسك بيدها وضغطها فوقه. واستطاعت أن تحس بالنبضات القوية السريعة وضمها اليه.
دخل جيف من الباب الخارجي ونادى:
"كات، ماذا جرى لك اليوم؟"
ونظر داخل غرفتها وقال:
"آسف.."
ثم وقف ينظر الى الوجهين المتقاربين فوق الاريكة .. ولم يتحركا. وألقى جيف حقيبته، ووضع يدا فوق جبهته وصاح:
"آسف؟ ان ما أراه هو أفضل ما حدث منذ سنوات. هيا يا فلوب، تعال معي. سنتصل بهيلين هاتفيا لنزف اليها النبأ السعيد!"